يَوْميَّاتُ مُعلِّمٍ على "الـــزُّوم"

طارق السكري

دار النسمة للنشر الإلكتروني

طارق السكري

اسم الكتاب: يوميات معلِّمٍ على الزّوم
اسم الكاتب: طارق السكري
نوع العمل: مذكرات
الرقم الدولي EBIN: 16-1-188-220913
الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني
الطبعة الأولى: 2022م / 1444هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934
دار بسمة للنشر الإلكتروني (المغرب)
Basma24design@gmail.com
المملكة المغربية

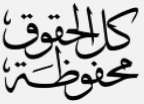

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. كما لا يجوز بأيّ صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

يَوْميّاتُ مُعلمٍ على
"الزُّوم"

مذكرات

طارق السكري

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى قارئي العزيز..

فرضت علينا الظروف جميعاً أن نتوارى "بسبب حظر كورونا " في البيوت، لن أتحدث عن أثر ذلك على نفسيّاتنا، وإنما عن القدرة التي خلقها الله سبحانه في الإنسان ألا وهي المرونة.. المرونة على التكيف.. المرونة على التأقلم. كمعلم واجهت صعوبة منقطعة النظير في التدريس عبر برنامج " الزُّوم " تلك الشاشة الصغيرة التي تبدو من خلالها وجوه الطلاب على هيئة قوالب الثلج!

لطلابي الذين أهمومني

لإخوتي المعلمين والمعلمات

لأولياء الأمور الرائعين

أقدِّم هذا الكتاب .. خلاصة تجربتي في التدريس عبر برنامج " الزُّوم" حاولت فيه أن أدرّب طلابي على كتابة اليوميات، فمن خلال الكتابة سنتعلم النحو وسنضبط قواعد الإملاء وسنساعد عقولنا على التطهير والتخلص من التشتت.

فإن أحسنت فمن الله، وإن أسأت من نفسي والشيطان

معلم اللغة العربية / طارق السكري

والله من وراء القصد

كلمة في استقبال العام الدراسي الجديد 2022- 2023

رحَبًا رحَبًا وسَعةً سعةً بكم طلابي! على طريق التفوق والنجاح .. ها هي المدارس تفتح أبوابها من جديد كما تفتح الأم يديها لأبنائها.

سنة دراسية **معجزة** انتظرناها لنحقق فيها أحلامنا، وأي حلم أعظم من اكتساب معلومة قيمة ومهارات جديدة ترفع من مستوى الذكاء فينا وتزيد من قدراتنا على اكتشاف ذواتنا والكنوز التي خلقها الله في أعماق كلٍّ منَّا؟ يقول ابن القيم: لو أراد ابنُ آدم أن ينقل جبلًا من مكانه لا ستطاع بعزيمته وهمته.

قلتُ سنة دراسية **معجزة** على غرار كتاب: **معجزة الصباح** لهال إلرود الذي يحض فيه على القيام قبل موعد الدوام بساعة .. لأن ساعة واحدة من التركيز يوميا كفيلة بأن تصل بنا إلى الهدف نريد.

وأنا كمدرس للغة عربية هدفي أن أحقق المعجزة كما استطعت تحقيقها من قبل.

أن أغرس فيكم أبنائيَ الطلاب حب العربية وحب الجمال الأدبي والتعبير الفنيّ بجمال .. تعبيرا خاليا من الأخطاء والعيوب .. سليمًا تألفه الأذن ولا يمجُّه الذوق.

أذكر وأنا صغير كيف كانت الدنيا تتزين في ناظري عند بداية العام الدراسي الجديد .. المكتبات القرطاسية الدفاتر بكافة الأشكال والألوان والأحجام. علب الهندسة، الأقلام، المراسم، المساحات .. أغلفة الدفاتر والكتب .. أغلفة وردية وسكرية مذهلة. رائحة الأوراق تفوح وتنتشر في كل مكان .. وكنا نشتعل فرحا وحماسة .. أريد حقيبة أريد قارورة ماء .. وفي الليل لا نستطيع النوم من الفرح نتساءل: متى يبزغ نور الصباح؟ وإذا في الصباح تزدحم الشوارع بالطلاب وبالمدرسين ازدحامًا.. هناك من يمشون على الأقدام وهناك من هم على الباص .. كان اليوم الدراسي الأول يومًا من أيام البطولة! بل كأنه ربيع حياة لا عهد للحياة به.

ها هو عام دراسي قد ولّى ومضى بذكرياته الجميلة .. والتي كنَّا فيها عبر الزوم وعبر تلك الشاشة الصغيرة على الحاسوب، نقاوم الظروف القاسية، ونكافح من أجل التطوير والتعلم واكتساب المهارات. نكافح ونقاوم كل التحديات .. كان فيه الجميع متفوقًا ورائعًا .. نعم كان هناك الجيد وكان هناك الأجود، كان هناك الحسن وكان هناك الأحسن، كان هناك الرائع وكان هناك الأروع .. ولكل مجتهد نصيب .. ومن سار على الدرب وصل.

وهذا عام دراسي جديد قد أقبل بكل هداياه وعطاياه ومفاجئاته، قد أقبل بكل أوراقه وأقلامه وصفحاته، فيا ترى ما نحن كاتبون فيها، وما نحن صانعون فيه؟

هل حقًّا نحن ندرك أهمية التعلم والمعرفة والثقافة؟ هل فعلا أنا كإنسان أحتاج للقراءة والكتابة في حياتي؟ هل سينقص مني شيء لو لم أتعلم؟ إذا حصلت على المعرفة الممتازة ماذا سيحدث لي؟ هذه الأسئلة مهمة جدًا أن تطرحها بينك وبين نفسك عزيزي الطالب. أن تكتبها.. أن تعلقها على جدران غرفتك .. أن تعصر ذهنك وأن تجيب بحرارة وصدق، لأنه لا يوجد عاقل في الدنيا يلف ويدور أو يخادع أو يكذب على نفسه!!!

على ضوء هذه الأسئلة .. سنعرف كيف ستكون مآلات ونهايات هذه السنة. لذلك قالوا: (**إشراق** البدايات مقرون بجمال النهايات.. وحسنُ الخواتيم ميراثُ السوابق.. وفي كل بداية قوة وتوهّج وأمل.. وإذا أردتَ ورود المواهب عليك.. صحّح الحاجة لديك). انظروا إلى هذه الدُّرّ من الكلِمِ الطيّب.. ألا ما أجمله! كلامٌ يكتب بماء الذهب.

علينا أن نذكّرِ أنفسنا بأن الذي يبدأ هذه السنة الدراسية ببهجة، فإن نهايته الدراسية ستكون مبهجةً أيضاَ.

وهنا يلح علينا سؤال آخر:

ما مفاتيح النجاح؟

التنظيم وإدارة الوقت والانضباط.

يجب أن تكون بداية العام الدراسي قوية، وهذا كي تكون نهاية العام رائعة؛ لذلك يجب أن تأخذ دراستك على محمل الجد والاجتهاد من تنظيم وإدارة وقت وانضباط ذاتيّ، ويجب عليك عزيزي الطالب أن تقوم بالمذاكرة من اليوم الأول، ولا يجب أن تؤجلها ليوم آخر أو لوقت آخر.

لغتـــي صبـــاحٌ مُشـــرقُ
عـربيَّـــــةٌ تـتـألَّـــــقُ

وأنـــــا بـهـــــا مُتعلِّـــقُ
روحـــي كطـــيرٍ تخْـــفقُ

في المركـــز الصَّـــيْفي هنـــا
تـــشدو حـــروفي مـــوطنا

قـــلمي كـــغصنٍ قـــد ثَـــنَى
جِيـــــدًا وَرَقَّ وَدنْـدنـــــا

لـــغتي؛ الشـــعورُ المرْهَـــفُ

والفكــرُ فيــها زخــرفُ

ودواةُ حِبـــري قاربـــي
أغـــدو بـــهِ وأُجَـــدِّفُ

لــغتي؛ ســأصنع عــالمي
وأشـــدُّ حبــلَ عزائــمي

وأصـوغ مـن ضـوءِ النهـارِ
دفـاتـــري ومَراسِمـــي

يوميات معلم على الزوم

(1)

-
-
-
-
-
-
-
- أهلا وسهلًا.
- أهلا بك يا أستاذ؛ اشتقنا للقراءة بحق.
- لابد أن نبدأ إذن؛ سنشغل أغنية السلام الجمهوري الخاصة بنادينا نادي القراءة (شارة برنامج تحدِّي القراءة تبدأ) الجميع متحمّس.

لنادي القراءة اليوم طعم مختلف! لأول مرة منذ أن أنشأنا ناديًا للقراءة على الزُّوم منذ أربعة أشهر؛ ننقطع لأسبوعين! هذه المرة قررت أن نستهل اللقاء بقصيدة لشاعر اليمن الكبير/ عبد الله البردوني بعنوان من أرض بلقيس.

من أرض بلقيس هذا اللحنُ والوترُ من جوّها هذه الأنسام والسَّحرُ
من صدرها هذه الآهاتُ، من فمها هذي اللحونُ ومن تاريخها الذِّكَر
من «السعيدةِ» هذي الأغنياتُ ومِن ظلالها هذه الأطياف والصورُ

ألا ترون أين بلغت الدهشة في روح الشاعر البردوني من روعة بلاده اليمن؟ وكيف استولت على قلبه وخياله، وتملَّكت تفكيره؛ واستحوذت على كل خليَّة في جسده؟ حتى أخذ يسترسل متفنِّنًا في عدِّ مآثر الجمال وعناصره ووصف آثاره وأصواته وألوانه تلك الأوصاف التي تأخذ لبَّ القارئ وتثير مشاعره وتذهب به إلى البعيد من الأنس والطرب.

كنت وأنا أحضّر نفسي للقاء؛ أتخيّل الأجواء النفسية لدى أصدقائي الطلاب، ونحن نتطعَّم ونتذوَّق جماليات القصيدة! يا له من شعور جميل!

اقتحم الزُّوم علينا -تحت الظروف "الكُورونيَّة"- حياتنا الثقافية والاجتماعية اقتحاما قويًا، بينما كنا نخرج إلى الناس ويدخلون علينا؛ أصبح كلٌّ منَّا يتمترس خلف جهازه؛ مترقِّبًا بوَّابة الزُّوم. واقع غريب بالفعل! أصبح الزُّوم سبُّورة إلكترونية؛ وسوقا للبضائع؛ وغرفة اجتماع؛ وساحة

ألعاب؛ ومجلس عزاء؛ وورشة تدريب؛ وأمسية شِعريَّة؛ ومنبرا للوعظ والدَّرس العلميّ والشّرعيّ. أوهْ لقد نسيت! وأصبح فصلا دراسيًا للطلاب؛ ونواديًا للقراءة أيضًا. لا داعي للتنظير؛ لقد اعتدنا وانتهى الأمر.

قبل أن نبدأ اللقاء الأسبوعي؛ امتطيت صهوة القلم؛ وانطلقت في بيداء الورقة؛ رحت أحدث نفسي بماذا أستهل اللقاء؟ الدِّيباجة؛ والتهيئة النفسية؛ من لوازم اللقاء الناجح. والدِّيباجة أو استهلال الحديث بمقدمة شيقة، لا بد وأن تكون مناسبة لموضوع اللقاء. وهذا معروف في أدبنا العربي من مقدمات الأشعار والخطب وسائر أجناس الكتابة الجميلة. وقريب من متناول يدي شاهدٌ في ذهني في منتهى الجمال؛ قال الله تعالى- مواسياً نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام في مصابه عام الحزن العام الذي توفِّيَ فيه أحب الناس إلى قلبه خديجة رضي الله عنها؛ وعمّه ودرعه الاجتماعي المتين أبو طالب- (والضحى، والليل إذا سجى، ما ودَّعك ربُّك وما قلا) إن مناسبة نزول السورة مناسبة تسلية وتخفيف عن قلبه صلى الله عليه وسلم مما أصابه؛ فلماذا اختار الله هذا الجزء من الوقت وهو الضحى؟ إن وقت الضحى هو وقت ارتفاع النهار وامتداده كما يقولون أي الوقت الذي يكون فيه الناس خارج بيوتهم؛ منشغلين تماما بأعمالهم؛ عندها تتاح للهموم والشعور بالغربة فرصة الانقضاض على النفس؛ وتبدأ دوائر الأمل تضيق؛ وتأخذ أشعة

الأنس بالانحسار عن أقطار القلب كلها؛ إذن! كأن الآية تقول: حتى لو انفضَّ الناس إلى الدنيا، وانشغلوا عنك، فلست وحدك يا محمد.

لقد لاحظنا: أن كلمة الضحى جاءت في مكانها المناسب من السياق البياني والنفسي مفصَّلةً على مقاس الموقف بدقَّة. هذا يسمى في البلاغة العربية: الدِّيباجة.

فماذا سأقدّم أنا من ديباجةٍ بين يديْ الطلاب؟ اقترحت عليَّ مخيّلتي أن أبدأ بحديث تشويقي عن أهمية القراءة من باب التذكير بعد الانقطاع؛ فأخرجت من كشكولي كلاما أعجبني أعتقد أنه للكاتب الكويتي/ محمد الرطيان يقول عن القراءة مشوِّقًا:

"بإمكانك أن تدور العالم كله دون أن تخرج من بيتك!

بإمكانك أن تتعرف على الكثير من الشخصيات الفريدة دون أن تراهم!

بإمكانك أن تمتلك "آلة الزمن" وتسافر إلى كل الأزمنة.. رغم أنه لا وجود لهذه الآلة الخرافيّة!

بإمكانك أن تشعر بصقيع موسكو، وتشم رائحة زهور أمستردام، وروائح التوابل الهندية في بومباي، وتتجاذب أطراف الحديث مع حكيم صيني عاش في القرن الثاني قبل الميلاد!

بإمكانك أن تفعل كل هذه الأشياء وأكثر، عبر شيء واحد: القراءة.

الذي لا يقرأ.. لا يرى الحياة بشكل جيّد.

فليكن دائمًا هنالك كتاب جديد بجانب سريرك ينتظر قراءتك له" انتهى كلامه.

ما أجمل هذا البيان!

وعلى وحي التذكُّر واستشعار حلاوة اللقاء؛ وأنا أستمع لشارة برنامج تحدِّي القراءة؛ هطل عليَّ الخيال بهذه الدِّراميَّة عن المعشوقة القراءة:

"جميلٌ رنينُك أيَّتها الفارهة؟

أقصدُ رنينَ حروفك

سَمْتكِ جذَّاب

عبقك رقَّاص، منعش

من أيِّ أرضٍ أنتِ؟

- أهلًا بك، وشكرًا على كلماتك الرَّقيقة

أنا مِن بلاد الأناقةْ

أنا دورةُ الزمن

مِن خلالي تتحطَّمُ الأغلالْ

وبِي تتفتَّق أجنحةُ الخيالْ

ولأنِّي من بلاد الأناقةْ

فالوجودُ من حولي أنيقْ.

لكنكِ؛ لم تقولي ليَ اسمكْ؟!

- أنا شمسٌ تمحو ليلَ الجهل

نافذةٌ على المستقبل

يدٌ تنتشلُ الغريقُ

وبلسمٌ يطيبُ به الجريحْ

سحابةٌ من كلمات

قمرٌ من حروف

أقْسَمَ اللهُ بي

أنا ...

أنا القراءة".

هكذا كتبتُ والوقت يزحف إليَّ على عجالة!

إذن؛ سأبدأ بعد الترحيب، بكلمة قصيرة عن أهمية القراءة؛ وأحاول من خلال حديثي أن أقحم موضوع الكتابة؛ فأنا لم تكن لي غاية من إنشاء هذا النادي سوى غرس حب الكتابة في قلوب الأبناء؛ ولعلمي بأن الكتابة امتلاء بالفكرة والمشاعر فهي لن تتأتى إلا بعد عملية القراءة؛ القراءة أولا؛ تحبيب القراءة إليهم؛ وتعويدهم عليها؛ وربطهم بالقراءة ربطا مصيريا هو اهتمامي الأول إذن؛ القراءة هي السبيل الأمثل لمساعدة الطلاب على اكتشاف الكنز الذي خُلق معهم؛ والحصول على كتابة شيّقة وسلسة .. تفتح النفس وتُغري بالقراءة لابد لها من أمرين: أولًا الارتفاع بدرجة الإحساس أو الذوق الجمالي؛ ثانيا: إنشاء بنك للمفردات. حتى يرتفع ذوق الطالب فلا يَقبل الغث، ولا يُقبل على التَّافه، ويكون لديه الحدَّ الأنى من التحليل والنقد، وكي يمتلك أسلوبا خاصا في الكتابة يرى من خلالها نفسه فلا يتبع في الكتابة أحدا ولا يقلد أسلوبًا؛ **لا بد** له من القراءة والكتابة بصورة يومية حتى تلين العضلات؛ وتحصل ملكةُ اللّياقة. لاتزال ذاكرتي بحمدالله تعمل! أذكر في مقدمة كتاب النظرات للمنفلوطي أنه اشترط

لحصول الملكة الأدبية في الكتابة أو قرظ الشعر هو الوقوف الطويل على المنشأة الأدبية (قصيدة أو خطبة بليغة أو حكمة، أو حديث شريف، أو آية قرآنية) وقوفًا يكون من ورائه التأمل والتفكر ربما لم يقل المنفلوطي هذا الكلام حرفيًا لكنه لا يخرج عن المضمون الذي ذكره في كتابه.

الشعر يا أبنائي! هو ذلك الطائر الغرِّيد .. الذي استطاع أن يحمل أحلام الإنسان وهمومه وتطلعاته.

الشعر ذلك العالم البديع من الفوضى الخلَّاقة .. ذلك العالم الأثير الذي تسمع فيه خفقات أجنحة الخيال، وتسابيح أطياف الكلمات وهي بعدُ في أغوار الظلمات .. تنتظر جمرة شجن، وتوهج قلم.

الشعر ديوان العرب .. سيّد البيداء .. حادي المسافرين، فاكهة السَّامرين.

نفحة اللواعج، وثمرة الخواطر.

الشعر في قصور المترفين آلة اللهو والطرب، وهو في الأحياء الفقيرة مطية الثورة ورسائل الغضبْ.

وأنا أحكي لكم يا أحبابي أنني ما رأيت في جولاتي الأدبية المتنوعة والمختلفة وفق ما قيضه الله لي من وقت وتوفيق، كأمَّةِ العربِ في عشقها للكلمة الجميلة، والنغمة الحلوة واللفظ البديع!

أمَّةٌ تَكلُفُ بسماعِ الأدبِ والتلذّذ بالكلمةِ الجميلة لأبعد غاية.

انظروا هذا المشهد الذي وقعت عليه في كتاب البيان والتبيين للجاحظ:

"قيل للمنذر بن واصل: كيف شهوتك للأدب؟ قال: أسمع الحرف منه لم أسمعه فتودّ أعضائي أن لها أسماعًا تنعَّم مثل ما تنعّمت الآذان، قيل: وكيف طلبك له؟ قال طلب المرأة المضلّة ولدها وليس لها غيره. قيل: وكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال".

هذا المشهد مشهد غير عادي .. ففيه دروس كثيرة وعبر لو أنها صادفت قلوبا!

في مقابلة لنزار قباني يقول: لو أنك ضربت إصبع عربي بدبُّوسٍ لما سال دمٌ ولكن شعر!

الشعر مسكون في ذات العربي، يجري مجرى الدّم، وما أكثر المتذوقين الذين يدهشونك بتحليلاتهم حول قصيدة ما، وهو يصور لك تلك الإشارة الخاطفة، ويشد انتباهك إلى ذلك التركيب البديع!

العربي شاعر بالفطرة .. قد لا يقول الشعر لكنه يطير من مكانه لو سمع معنى مدهشًا اخترق شغاف قلبه، أو فكرة ملتهبة أطارت النوم من عينيه.

لقد ابتدأ اللقاء؛ فأقبلت الأضواء من كل مكان؛ وتدفقت كلمات الطلاب الهادرة بالترحاب؛ وانبثقت من الزُّوم نوافذ على مكتبات العالم؛ فترامت إلى آذاننا همسات تقليب الأوراق؛ وتطايرت إلى أنوفنا روائح طيات الكتب. فما أجمله من لقاء!

29 يناير 2022

(2)

تأتي الواحدَ منَّا أحيانًا نفحاتٌ مباركة من تقدير الله لم تخطر على البال أو هدية من الهدايا المغلَّفةِ بالضوء.. المطرَّزةِ بالعطر.. تلك التي تشبه عودة الزائر المنتظر.. أو تلك التي تنسى معها كل آلام الدنيا.. هدية تشعرك باهتمام وتقدير.. فتقع في نفسك موقعًا مختلفًا.. ربما هي في نظر الآخرين شيئا عاديا! لكنك تشعر أنها من هدايا الزمان.

سعدتُ كثيرًا بتلخيص الطالبة/ دعاء علي من الصف السابع لرواية طويلة.. لم يكن التلخيص من ذلك النوع الذي يشعر فيه المدرس بأن الطالب كأنما يقوم بجر سفينة! يرمي الكلمات في كل اتجاه.. ويرصفها كيفما اتفق! لاشكّ أن جهد الجميع مشكور.. لكن هناك ما يستحق الإشادة .. ولو من باب:

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ .. فليُسعِدِ النطقُ إن لم يُسعِدِ الحالُ

بل كان تلخيصًا مرتَّبا من النوع الذي تشعر فيه بأن الطالب قد دخل مع الرواية في صداقة حميمة، ففهم تفاصيلها.. ووقف على حَبَكاتها.. وانغمر بجمالياتها. بدءًا بذكر عنوان الرواية ثم المؤلفِ ثم نبذةٍ قصيرة عن الرواية ثم ذكرِ النوع الذي تُصنّف فيه: خيالي أو تاريخي أو بوليسيّ.. الخ ثم الفكرةِ الرئيسة التي تدور حولها الروايةُ ثم تركِ انطباعٍ شخصي عنها ثم الخاتمة.

أليس هذا مثيلٌ لما يُطلب في الجامعة عند كتابة بحث ما: المقدمة- العرض- الخاتمة؟

بيد أنها انتحتْ زاويةً في الختام.. فوضعتْ في خانةٍ صغيرة عنوانا كبيرا: اقتبسات. فانتخبت بعض ما أعجبها من أقوال أو قصائد أو عبارات من الرواية.

و"الاقتباسات" طريقة ممتازة يقوم بها بعض عشاق القراءة .. لإشاعة حب القراءة في المجتمع، وإغراء الآخرين بقراءة ما وقع عليهم الاختيار من الكتب.

في كتابه" القراءة المثمرة" يعجب الدكتور/ عبد الكريم بكّار فيقول ما ملخصه: إن مما يدعو إلى العجب أن نُحدّث أمةً عن أهمية القراءة، وأول ما نزل في كتابها قول الله: (اقرأ)!

كنت أشعر وأنا أقرأ تلخيص ابنتي دعاء رغم قصره.. أني على قارب صغير أجدِّف ليلًا تحت أشعة القمرِ.. فوق أمواج هادئةٍ.. ليس إلا هسهسة المجداف بين الماء.

كان أسلوبها هادئا يُلمَسُ من خلالهِ اتزانُها وهي تكتب .. تسير في طريق الفكرة دون ارتباك حتى آخر قطرة من الحبر.

إن النفس البشرية كالمنجم.. والعمل فيها يشبه إلى حدٍّ كبير العمل في المناجم! العمل فيها ليس بالأمر السهل!

لقد أودع الله في النفس العديد من الكنوز.. لكنها مغمورة تحت ضباب كثيف من التغافل والنسيان.

أن تكون صوتا دافئا يُربّتُ كَنَدِيفٍ من الثلج .. تَتوجَّهُ المشاعرُ مِن خلاله إلى خاصّتها وكنوزها الدفينة.. هذا يعني أنك أشبه برسل العناية والحقيقة .. الذين يُطوّع الله لهم الجبال ويليّن لهم الحديد من ظروف قاسية في سبيل الصحوة والتغيير.

حين رشِّحتُ للعمل في المدرسة اليمنية كمدرس للغة العربية .. كنت أتأجَّجُ حماسةً حتى إذا مرت الأربعةُ الأشهر الأولى.. بدأ شيءٌ من الإحباط يتسرّب إلى نفسي!

لأربعة أشهر وأنا أفتتح الحصة الدراسية بعيونٍ من الشعر العربي، وبأجمل ما في جعبة الكلام المنثور من درر.. وأقوم بعرض نماذج مما أكتب وأنشر من شعر، ويوميات أقوم بالوقوف على المحاسن وأستنهض هممهم للتأمل والتذوق والتطعّم.

ومثل هذا المدخل لدرس العربيّة – مما أفدناه في الحياة من تجارب– لهو مدخل مهم وطريقة من أنجع الطرق في تشويق الطلاب للعربية.. وتحبيبهم فيها.. وتربيتهم على التعبير والتفنن في الكلام! فإن الكلام المنغّمَ .. البليغَ إذا طرق الأسماعَ.. وداومت العيون على النظر فيه .. كان كفيلًا بأنْ يوقد شرارة الإحساس الرفيع بالجمال لدى الطالب .. فتتفاعل نفسه مع النص.. سواء كان آية من القرآن أو قصيدة تفاعلًا إيجابيًا.. يرتفع فيه تفكيره عن السَّطحيّة .. وتتأتى ثماره في السلوك الطيّب.. والكتابة الجميلة المعبّرة.. فنرى في المستقبل أمثال المنفلوطي وسيد قطب وعلي الطنطاوي.

في الصف السادس والسابع والثامن.. كنت كلما أدخل الفصل .. يقفز ذهني على العامل الزمنيّ.. فأتخيل طلابي على مقاعد الثالث الثانوي! فتأخذني – يعلم الله وحده رجفة شديدة.. كيف سيصل طلابي إلى آخر المراحل الدراسية بهذا المستوى؟! ما الحركة التي يمكن يُحدثها حجر صغير ألقي في بحر مترامي الأطرافِ من المشاكل التي يمرُّ بها يمنُنا الحبيب؟! سنوات طويلة من التعليم .. وبين الطالب وتراثه من الأدب العربي الخلّاق قطيعة وجفاء!

من أين ستغمر أنوارُ لغتنا البديعة أفئدةَ أبنائنا وبناتنا.. وبينهم وبين جماليات العربية الفصحى.. هذه العامّيّة الأشبه بالعجمة؟ من يتحمّل مسؤولية هذا الضياع؟ هذا لا يبعث على الشعور بالقهر فحسب.. بل يبعث .. على

البكاء! قيل للمنذر بن واصل ذات مرة.. كيف شهوتك للأدب؟ قال: أسمع الحرفَ منه لم أسمعه، فتوّدّ أعضائي أنَّ لها أسماعًا.. تَنَعَّمُ مثل ما تنعَّمت الآذان! الله الله! يقول: إنني أسمع النص البليغ من آية أو شعر، أو خطبة بليغة .. فتنفعل نفسي فرحًا .. ويتحسّن مزاجي .. ويأسرني كلُّ حرف ورد فيه.. وإني لأتمنى أن يكون كلُّ عضو في جسدي أذنًا.. حتى تغمرني المتعة وتتلبّسني اللذة.

أرأيتم في الدنيا هيامًا بجمال اللغة العربية كهذا الهيامْ؟ نفسًا تهزّها روائع الكلامْ؟

ولِمَ العجبُ؟

ولغتنا العربية في القمة من المستوى التعبيريّ والجماليّ بين لغات العالم كلها:

هل في لغاتِ الكون كاللغةِ التي .. يسمو بأحرفها كلامُ اللهِ؟

استسلم الكثيرُ من الآباء لموضات العصر.. وركبوا موجة التغريب.. فصار أبناؤهم يتقنون من اللغات الأجنبية نطقًا وتعبيرًا ما لا يجيدون من لغتهم الأمّ أقل من معشار!

قاطعني مرّة طالب وأنا في غمرة حماستي أثناء الدرس!

- يا أستاذ .. لديّ سؤال؟

ظننته سيسأل في الدرس!

- تفضّل
- يا أستاذ: ما الفائدة من النحو.. لماذا ندرسه أصلا؟

بقيتْ على الحصّة خمسُ دقائق! ماذا أقول له؟

حين قرأت تلخيص دعاء بهذه الانسيابية .. تنفست الصعداء وسجدت لله سجدة شكر.

قلت له: حسنًا أنا أطلب أن تبحث عن قصة الحي بن يقظان ثم تقوم بتخليصها وغدا في الفصل سنناقشها بإذن الله!

سيتفلسف متفلسف قائلًا:

علينا أن نؤمن بالفوارق الفردية بين الطلاب!!

إن القدرة على التعبير الكتابيّ هبة من الله وملكة يختص بها الله من يشاء.. لكن هل يمكن أن يكتسبها الإنسان؟ نعم بالتعلم. تعتمد الموهبة على نسبة واحد في المائة.. وأما النسبة الباقية فتعتمد على الاجتهاد.

الكثير من الشعراء والروائيين العالميين لم يكونوا متخصصين في اللغة.

كان الشاعر الفرنسي سان جان بيرس متخصصا في علم السياسة!

الشاعر الألماني غوته كان متخصصا في العلوم الطبيعية! ولدينا الشاعر إبراهيم ناجي الذي غنت له أم كلثوم أغنية الأطلال متخصص في الطب.. والبارودي الذي افتتح الشعري العربي المعاصر به كان ضابطًا في الجيش! والدكتور مصطفى محمود له أكثر من عشرين رواية .. وهو متخصص في علم النبات والحشرات.

التعبير علامة فارقة في جودة التعليم لا علاقة للتخصص بها.

أقول هذا دوما لطلابي درءًا للشبهة التي تقول: إن اللغة العربية اليوم لغة جافة وليست لغة المال والوظيفة!

سبحان الله!

وكأننا نحن المسلمين أهل دنيا لا غير! وكأننا نتناسى أنه لولا لغتنا العربية لما كانت حضارة الغرب اليوم. تتحدث الكاتبة الألمانية/ زيغريد هونكه صاحبة كتاب" شمس العرب تسطع على الغرب" عن طلاب الغرب ممن حالفهم الحظ.. فابتعثوا إلى المشرق العربي حاضرة الخلافة آنذاك .. تقول: مكتبة صغيرة في العراق كانت تحوي في القرن العاشر الميلادي أربعين ألف مجلد، بينما لم تحو الأديرة في الغرب سوى اثني عشر كتابا رُبطت بالسلاسل خشية ضياعها، وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة.. بل إنه لكل مستشفى يستقبل زواره قاعة فسيحة .. صُفّت على رفوفها الكتبُ الطبية الحديثة

الصدور إما للبيع أو للإعارة .. لم يعمل العرب على إنقاذ تراثنا اليوناني من الضياع والنسيان فقط، ولم يقوموا بمجرد عرضه وتنظيمه وتزويده بالمعارف الخاصة، ومن ثم إيصاله إلى أوروبا.. بحيث إن عددا لا يحصى من الكتب التعليمية العربية حتى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، قَدّمت للجامعات أفضل مادة معرفية، فقد كانوا المؤسسين للكيمياء والفيزياء والطبيعية والجبر والحساب ... الخ" انتهى بتصرف يسير.

ليس بدعًا أن الغراس متعب.. وأن ثمار التربية تؤتي أكلها بعد لأي.. بعد مرور تلك الأشهر الأربعة.. بدأت بعض البراعم بالتفتح والإزهار!

منار في الصف السادس .. تعشق القراءة تقوم بعمل أنشطة من تلخيص وتسجيلات صوتية.. دون أن يُطلب منها ذلك .. ترغم نفسها على التحدّث بالفصحى.

رشا من الصف السابع تشارك في نادي القراءة بقوة وحماسة متَّقدة.

أنوار من الصف السابع طاقة هائلة من الإبداع المختلف .. أقدمت على تلخيص رواية بعنوان: "الدكتور جيكل والسيد هايد" عبر مونتاج فلم .. عبر شخصيات كرتونية تتحرك وتتحدث بأصوات مختلفة. حين قمت بعرض الفلم على الطلاب.. كانوا كأن على رؤوسهم الطير!

فاطمة من الصف الثامن.. كانت لديها في النحو مشكلة عويصة.. أرشدتها إلى القراءة الحرة.. بدأت تتحسّن بشكل كبير.. أصبحت بعدها تقرأ بجنون.. أعطيها الكتاب الإلكتروني.. فتذهب لطباعته ورقيًا! حتى لا تفوتها متعة لمس المعرفة وتحسسها باليدين من خلال الأوراق. كأنها تقول: يا أستاذ! حتى اليد بإمكانها أن تتذوق المعلومة وتشمّ!

تسنيم من الصف الثامن مسكونة بالجمال.. تكتب بصورة يومية عن أحلامها .. عن يومياتها وتجمع بين شتات الأحداث، فتؤلف بينها عاملا مشتركا تصبح عندها قصصا، مشكلتها مع القواعد الإملائية.. ستتحسن بالتعليم والممارسة.

ضياء من الصف الثامن أنشأ مجموعة خاصة بالشعر فانضم إليه طلاب عدة من مختلف الصفوف والمراحل الدراسية. يحب اللغة العربية .. كم أتمنى أن يعزز ذلك بالكتابة، فالكتابة تأمل وتذوق وتفكير.

وئام من الصفّ الثامن قامت بإنشاء ناد للقراءة وقامت بتصميم شعار خاص بها.. خلال الأربعة أشهر .. وعلى العاشرة صباحا من كل سبت نلتقي جميعا عبر الزوم .. فكأننا في عالم فسيح من البنفسج والورد.

البراء من الصف الثامن لديه موهبة في الكتابة الساخرة لو أنه يستمر يمكن أن تفيد أمته من قلمه ونقده.

جنى من الصف الثامن قامت بإنشاء مكتبة .. ووضعت على رفوفها الكتب مقسمة وفق تخصصاتها المعرفية وأنواعها المختلفة: الكتب الدينية – الكتب الأدبية – الكتب العلمية. أعجبت إدارة المدرسة بها كثيرا.. فقامت برفعها على موقعها الرسميّ.

اللغة العربية لغة الجمال؛ تسمع من بين حروفها، أصواتَ الطبيعة من شلالات وطيور، وتترامى إلى أعماقك من عباراتها؛ ظلال السحر والعطور.

اصطفى اللهُ اللغة العربية لتكون المنقذ للإنسان من خلال كلامه المعجز سبحانه، وما وضع الله فيها من حكمة وموعظة بليغة تدله على الخير والبركة والسعادة، وتنهاه عن المقابح .. تلك المقابح النفسية والخلقية التي هي طرق القلق والأزمات النفسية، تلك التي تنتكس فيها الفطرة فيعود وعي الإنسان فيها إلى نقطة الصفر من البدائية والأمية.

وما في اللغة العربية أيضا من ملكة متوجهة إلى الوجدان والخيال؛ فتصقل مرآة الروح بآدابها من شعر ومثل، وإشاراتها من إيحاء وإيجاز، وتنبّه قوى العقل للمعاني الخلاقة المبثوثة في الكون؛ فيتخيّر منها ما تدعو الحاجة إليها، ويعبّر عنها بأسلوب رشيق.

يقول صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحرا. ذكر الجاحظ في مقدمة كتابه البيان والتبيين ما مفاده أن العرب كانت تكره العِيَّ وهو انحباس

اللسان عن التعبير بطلاقة وفصاحة وأناقة، ثم ذكر الجاحظ أيضا جملة من الأبيات الشعرية لشعراء عدّة أذكر منها:

أعِذْنِي ربِّ من حَصَرٍ وعِيٍّ .. ومن نفسٍ أُعالجها علاجا

ولذلك كان العرب يستكثرون من الشعر وروايته لما في الشعر من خصوبة خيال وتصرّف في المفردات وتشكيل للطبيعة من خلال اللغة. فيكون العقل نشطا على الدوام، وتكون الدُّربةُ قد تمكَّنت من اللسان. حيث كان يكفي العربي أن يتوجَّه فكره إلى موضوع ما، حتى ينساب الكلام منظومًا؛ يخلب الأسماع، ويؤثر في النفوس؛ كأنه سلسال ماء ينحدر بسهولة ويسر.

بتراكيب لغتنا الجميلة البديعة؛ وألفاظها المتَّسعة؛ أخذت العربية تراود العقول، أخذ العربيُّ يتلمَّسها بمشاعره، ويردِّدُها ويتذوَّقُها بلسانه؛

يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

تغنّ بالشعر إمَّا أنت قائلهُ .. إن الغناء لهذا الشعر مضمارُ

لقد كانت النفس البشرية تجيش بالكثير من المشاعر والرؤى؛ من المبهمات والغوامض؛ ومما يثيره الواقع المعاش؛ ومما يلوح على مخايل الغد؛ ولم تواتهِ اللغة كمتنفَّسٍ يروّح عمَّا بداخله؛ وكوسيط يحمّل من خلاله تأملاته وتطلعاته؛ وظل يكدّ مع مرور التاريخ؛ يشعر بالنقص والتعب؛ ويزداد

انكماشًا حتى وقع على اللغة العربية، فأنست روحه واطمأنت؛ فتوهجت على يديها حلل البيان.

وكان من أهم الأسباب التي دعت غير العرب من المسلمين وغيرهم أن يتعلموا اللغة العربية غير تلك الأسباب الدينية، أسباب تكمن في اللغة العربية نفسها. فهي مستودع الجمال الأدبي الخلاق.

في صباح اليوم الدراسي التالي عدنا إلى الطالب وقصة الحيّ بن يقظان!

قال: قرأت القصة يا أستاذ ولكن لم أفهم منها الكثير!

كنت مضطرًا لأن أوظف هذه القصة وأستغل ما فيها لخدمة الطالب. قلت له: دائما في قصة موضوع اللغة وطريقة اختراعها وما إلى ذلك يتذكر الفلاسفة قصة الحي بن يقظان .. ما قصة الحي بن يقظان؟ بإيجاز شديد: "يقدم لنا الفيلسوف الأندلسي المسلم ابن طفيل، شخصية بطل عمله الفلسفي حي بن يقظان، الخالي من أي إرث حضاري أو ثقافي سابق على وجوده، الذي نشأ وترعرع في جزيرة معزولة تمامًا عن أي اتصال إنساني، إلا أنه سيتمكن من تمييز ذاته عن الوجود الحيواني الطبيعي المحيط به، وسيرتقي في درجات الوعي والإدراك، من الإدراك الحسي عبر الاتصال بالأشياء والتعاطي معها، إلى الإدراك العقلي من خلال النظر العقلي، ومنه إلى تجربة

الكشف الصوفية، والتي تمثل أعلى درجات الإدراك الإنساني". تعالوا .. دعونا نرى:

وجد الحي بن يقظان في جزيرة معزولة عن العالم .. نما وترعرع فيها .. ذات مرة رأى الحي بن يقظان – وانظروا إلى سر اختيار اسمه– رأى أن العقل يلح عليه بخواطر وهواجس كثيرة يحاول العقل أن يحلل ويجد روابط بين الأشياء التي يراها ويتعرف عليها ويحدد ما هيتها! فهداه عقله لأن يتعرف على الأشياء من حوله، وبالطبع لن يقدر على ذلك حتى يعرّفها ويسمِّيها! وبالفعل اجتهد وقام بتسمية الأشياء من حوله ليحدد موقع قدمه وليعرف مع من يتعامل كي يشعر بالأمن والأمان! وليُميّز كذلك بين عناصر الطبيعة وبين الكائنات .. فأخذ يُسمّي كل ما يبدو له: بحر – جبل – شجرة – عصفور .. الخ. ثم رأى بعد مضي وقت أن هناك تمايزا بين عناصر الطبيعة؛ فالنار غير الماء .. والسكر غير الملح .. والحيوان الأليف غير المفترس .. والجماد غير المتحرك، والنباتات السامة غير النباتات التي تصلح للأكل .. فأحس بشيء من الخطر! فأخذ يتعرف على من حوله ويُسمِّي الأشياء كي ينتصر على المرض وعلى الموت .. إذ لو لم توجد مثل تلك الأسماء والتي اتفق عقله عليها لمات أليس كذلك؟ هذا بالنسبة للاسم. وبالنسبة للفعل ما حاجته لذلك؟ اكتشف وهو يفكر فيما حوله أنه يمارس نشاط التفكير .. فقال: ما هذا النشاط الذي يقوم به عقلي؟ إن عقلي لا يتوقف عن

التفكير! فقال: إذن أنا أفكِّر يعني أنا أمارس نشاط التفكير يعني أن هناك جهدًا وحركة (نشاط) يبذله عقلي. وبينما هو يفكر قال: ماذا أفعل الآن؟ أوه! أنا أمشي الآن .. يعني أن أقدامي تتحرك تمارس نشاطًا .. أنا أنظر الآن يعني أن عيني تتحرك يمنيا شمالًا تتأمل وتتعرف على الأشياء!

في اليوم الثاني وجد أن الأسماء ثابتة لا تتغير؛ فالجبل هو الجبل بالأمس أو اليوم أو الغد؛ مسمّى ثابتا لا يتغير، كان يفكر أيضًا فيما توصَّل إليه وما كان يزاوله بالأمس من نشاط .. قال: أنا مشيت من هنا.. وهناك عند تلك الشجرة أنا وقفت! بدأ الآن يربط الأنشطة التي كان يقوم بها بزمن معين (أنا أمشي يعني الآن .. أنا مشيت يعني بالأمس .. أمشي – مشيتُ إذن حتى نفرق بين الأزمنة، سأجعل ما أقوم به الآن من نشاط، فعلًا مستمرًا سأسمّيه " فعل مضارع " .. وما قمت به الأمس ماضٍ، لأنه مضى وانتهى ". فاكتشف أن الفعل يعني الحركة والتغيُّر، والاسم يعني الثبوت

ثم رأى أنه كان يستخدم أدوات ربط بين الجمل، وأخذ يُردِّد العبارة السابقة :(أنا أمشي – مشيتُ، إذن حتى نفرق بين الأزمنة سأجعل ما أقوم به الآن من نشاط ...) فقال: هذه الكلمات (إذن – حتى – بين – به – من – لا تحمل معنى بمفردها! ولكنها تحمل معنى مع غيرها إذن! سأسمّيها الحروف. إذن لقد أصبح معنا: اسم وفعل وحرف.

لكنه مع مرور الأيام، رأى أن نفسه تلحُّ عليه بالرغبة بالكلام .. بأن يصدح بصوته فكان يعاني من ذلك معاناة شديدة، ومع مرور الأيام وجد على جانب من الغابة في الجهة البعيدة .. فتاة جميلة. فأخذته الدهشة وتسمّر مكانه .. بدأ يشعر بنوازع النفس البشرية ورغباتها .. شعر بسعادة وشعر بأن هناك إنسانا يشبهه .. إنسانا يحمل نفس صورته فهو يختلف عن الحيوان .. كان يشعر نحوها بشعور جميل .. من هنا رأى أنه بحاجة إلى أن يعبر عن مشاعره تجاهها بتعبير غير عادي .. شيء أسمى من اللغة العادية.. هنا حثَّته نفسه وخياله وعاطفته أن يستخدم اللغة استخدامًا آخر .. ألا وهو الجانب الفني في اللغة يشبع حاجته النفسية تلك اللحظة .. فكان الشعر والغناء، فأخذ يستخدم الكلمات ليعبر بها عن عواطفه ومشاعره التي لا ترى ولا تدركها الحواس، وأخرج تلك المعاني المجردة على هيئة صور جمالية فكان يقول:

لقد رأيت فتاة جميلة كأنها زهرة عطرة .. وكان وجهها منيرا كالقمر .. لقد كنت أشعر في أعماقي بمشاعر مضطربة كأمواج البحر. وأخذ يصف ما كان يشعر به عن طريق الكلمات .. ثم إنه التقى بها وأسمعها ما قال فيها.. فأعجبت به .. فتزوجا). **إذن** هناك حاجة فطرية في الإنسان ليتعلم ليكتشف .. ليتكلم .. ليعبر عن مشاعره .. كل إنسان بحاجة إلى تقدير

الذات.. إلى أن يقدم عملًا إبداعيا .. أن يبهر غيره بقدرته على الكتابة الساحرة.

هناك عالم انجليزي في علم النفس اسمه ماسلو .. قام ببحث طويل في طبائع النفس الإنسانية فوجد كل إنسان بحاجة إلى جملة من الأمور أطلق عليه هرم ماسلو:

تحقيق الذات

الحاجة إلى التقدير

الحاجات الاجتماعية

الحاجة للأمان

الحاجة الجسدية

وتحقيق الذات يعني الإنجاز .. كيف تضع بصمة في الحياة .. كيف تثبت للآخرين أنك رقما صعبا .. أنك ذكي .. أنك عبقري .. أنك مختلف لا تشبه أحدًا .. أن تترك مؤلفا أو ديوان شعر أو تؤلف رواية أو قصة وتترجم لكل لغات العالم.

وهكذا .. كنت أستدرج طلابي.

وفي كل مرة كان يُقدم إليَّ فيها هؤلاء الطلاب النجباء نشاطًا.. أشعر بالخجل! إذ أن الظروف على المدرسين قاسية.. فقلبهم خصيبْ .. وربعهم جديبْ! لكنّ العزاء فيما نوسعه لهم من بشرى.. وما نغرف لهم من الدّرجاتِ حتى يرضوا.

هؤلاء هم عائلتي الروحية.. وقصائدي الجيادْ.. وشهادة ميلادي .. وشهبي التي أشق بها ظلمات الاستبداد.

12 فبراير 2022

(3)

اشتقت لك .. كم أشتاقك! أحبك أيتها الكتابة جدًا؛ صديقتي الحبيبة. كم أنا مجهد ولا أجد وقتا للتفرغ إليك والتخاطر معك. أعيشك في الوهم وأتخيل إيقاع الكيبورد كما لوكان إيقاع مطر أو حفيف شجر. لقد ازدحمتُ جدا؛ كنت أعمل لهذا اليوم ألف حساب قاومت فترة شبابي كل المغريات وتحديت كل الآلام ولم أرضخ لسلطة أحد غيرك.

وها أنا اليوم أتحين فرصة من بين كل هذا الركام ولا أخلص إليك. حتى هذه الساعة أكتب إليك مساء وأنا لا يوجد عرق في جسدي إلا وفيه طعنة من تحضير لدرس أو رمية لانتقال بين حصة وحصة. استهلكني الزوم وأكلتني شرائحُ البوربوينت وتناوشتني أطياف الطلاب، وتجاذبت روحي المرهف أوامر الإدارة واجتماعاتها وتكاليفها. على أني في أتم عافيتي فلا أحب إلي من التدريس والاشتغال بالتعليم لكن ليت لي بك خلوة ولو ليوم واحد .. يوم واحد فقط.

البحثُ عن مكانٍ مضاء

كنتُ كثيرا ما أمتنع عن الكتابة لما لها من جلال وتبعة، فالفكرة مسؤولية، وطريقة عرضها كذلك، ولأني وطَّنتُ نفسي على إدامةِ النظر في الكتب، أرجوكم؛ لا تفهموني عند هذه العبارة السابقة خطئًا؛ فلست طالبًا بهذا الذي يبدو كأنه مديحٌ رفدا من أحد؛ ولا أدري أهو مديح أم ذم! في زمن أصبح التفكير بالمال؛ وبذل كافة الأسباب في الحصول عليه؛ بالطرق المشروعة وغيرها؛ ديدن هذا العصر وأكثر أهله؛ بل وآية من آيات النبوغ والرجولة! مما دفع بالكتاب وأهله على ما هم فيه من قلّة حول؛ وانصراف الهالة الإعلامية بالكليّة عنهم؛ إلى مهبِّ الريح! حتى لقد غلبت على الأدباء مسحة البؤس التي لا تفارق وجوههم وزهد الناس في قراءة الكتب فضلا عن شرائها؛ وقد شكا مثل هذا الإمام ابن قتيبة في كتابه الرّصين: أدب الكاتب؛ من انصراف أهل زمانه عن طلب العلم. وقديما قال المتنبي:

فسرتُ نحوك لا ألوي على أحدٍ .. أحثُّ راحلتيَّ الفقرَ والأدَبَا

مما لا يزال عالقًا بذهني شرح الإمام الواحدي لديوان المتنبي حول هذا البيت فيما معناه:

وقد أجاد المتنبي وأصاب إذ قرن بين الأدب والفقر فهما صفتان متلازمتان!

وأذكر طرفة وردت في كتب الأدب أن جزّارًا رأى ما للشعراء من حظوة عند الأمراء والخلفاء؛ فحدثته نفسه أن يحترف الشعر؛ فهجر دكّانه وأقبل على الشعر ولكن كان الزمان قد كسدت فيه سوق الشعر؛ فلم ير فائدة! فعاد إلى جزارته بعيد سنين؛ قائلًا:

لا تَعِبْنـــــي بصَـــــنْعَةِ القصـــــّابِ
فهـــي أذكـــى مِـــن صنعـــة الآدابِ

كـان فَضْـلي على الكِـلاب فمـذ صِرتُ
أديبًـــا رجـــوتُ فضْـــلَ الكِـــلابِ

لقد شوهت الرأسمالية قيم الحياة الإنسانية بل وقتلت في الإنسان الإحساس بالجمال؛ جعلت من الإنسان آلة صماء تعمل ليل نهار من أجل المادة والمال!

في هذا العالم المترامي الأطراف .. المتعدد الأفكار .. المزدحم بالشعارات .. الممتلئ بالأطماع المنشعل بالتوسع .. في هذا العالم المثخن بالخيانات السياسية والاجتماعية .. المشبع بالمؤامرات في هذا العالم الذي شوَّه معنى الحياة .. الذي أحرق في الإنسان بواكير الجمال؛ في هذا العالم الذي طغت فيه الأنانية وتفرقت فيه القلوب. وتبلدت فيه الأحاسيس والمشاعر. وأصبح كل واحد يردد في جنباته: نفسي نفسي!

كنا مرة في مجلس عزاء نتحدث فيه عن الموت؛ وكيف أننا كمسلمين نواسي عند المصائب بعضنا بعضا .. ونعرف عند الأزمات والكوارث إلى أين نلجأ وبمن نستغيث وإلى من نفزع؟ هذا التراص ثمرة من ثمرات انتمائنا لهذا الدين .. الرحمة.. الأخوة الإسلامية

وذكرت أبياتا لأحد قضاة لبنان:

هـذا الزمـان الـذي كنَّـا نحـاذره
فيمـا يُحـدِّث كعـبٌ وابـنُ مسـعودِ

إن دامَ ذا الـدهرُ لم نحـزنْ علـى أحـدٍ
يمـوت منَّـا ولم نفـرح بمولـودِ

هنا الشاهد في هذا البيت الشعري: لم نحزن على أحدٍ ..! أن يموت فينا الإحساس بأحزان الآخرين أو أفراحهم؛ على ندرة الإفراح وشحتها، لهي المأساة بعينها.

وكان أن قلتُ أبياتًا شعرية من قصيدة طويلة في ذات الفكرة:

أرنو إلى الإنسان أمشي في جوانبه أصيحْ
عيناه خاويتان ممَّا فيه من معنىً مليح
لو أنني أرنو إلى الأطلال جاوبتِ الطُّلوح
وأشار نحوي الطيفُ .. حَيَّتني الرَّوابي والسُّفوح
وتمثلت ريحُ الصَّبا بشراً تُغني أو تنوح
والرملُ يُغري بالحديثِ الغيمَ .. تخضرُّ الجروح
لكأنَّ تمثالًا أمامي شاخصٌ ما فيه روحْ!

لست متشائمًا ولكننا بالفعل نعيش عصرَ الظمأ الروحي، عصرَ غيبوبةِ الضمير .. عصرَ غياب المواقف النبيلة. عصرَ تسليعِ القيم؛ وهذا كله نتيجة إقصاء الإيمان عن العلم وعزله عن الحياة

في آية يصف الله فيها تخبّط العِلِيَةِ من القوم .. الذين يسيطرون على المراكز العقلية والمراكز التجارية العالمية .. يصور تخبطهم وعشوائيتهم وانفصامهم

المنكـود.. يصـف زيفَهـم وكـذبَهم في ادعـائاتِهم وتشـدُّقِهم باسـم الحريـة والإنسانية والمثل العليا؛ نموذج يتكرر في كل آن:

يقول الله تعالى في سورة البقرة: **(أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت)**. ها هم يَصمُّون آذانهم عن المبادئ الإنسانية الحقة؛ الإسلام الذي كفل للإنسان الحياة السعيدة الطيبة (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن .. فلنحيينه حياة طيبة) لقد عجزت العقول الإنسانية بكل ما أنتجته من معارف وفتوحات علمية أن تصنع حالة من الاستقرار على وجه الأرض .. أن تصنع إنسانا صالحا سعيدا مطمئنًا متصالحا مع ذاته .. متصالحا مع مجتمعه. إي وربي إنها لأعجز من ذلك.

في عددها الصادر في 5 ديسمبر 2021 قامت مجلة أبجد الثقافية بعرض سيرة المناضلة الأمريكية روز باركس صاحبة مقولة: لا .. أستشهد بهذا من باب التذكير بواقع الفلسفات الوجودية اللاأخلاقية .. جاء في المجلة ما معناه:

في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي سنت الولايات المتحدة جملة من المبادئ والقوانين عرفت بقوانين (جيم كرو) بموجبها تم تطبيق ما يعرف بأنظمة الفصل العنصري..) طبعا صورت هذه المعاناة الإنسانية أقلام

الروائيين الأمريكيين مثل **رواية الضوء في أغسطس** للكاتب ويليام فوكنر ورواية **أشياء عظيمة صغيرة** للكاتبة الأمريكية جودي بيكلوت والتي تحولت إلى فلم سينيمائي، المهم .. تذكر المقالة في المجلة مدى حجم معاناة الفتاة روز وكيف كانت تفتح عينيها كل صباح على وجوه بيضاء تنظر إليها باشمئزاز ... اللافتات والملصقات في كل مكان: ممنوع دخول الكلاب والسود! وتشرح أنها مرة أرادت أن توقف حافلة فصعدت وركبت في المقاعد الأمامية لكن السائق طلب منها أن تنتقل إلى المقاعد الخلفية لأن المقاعد الأمامية للبيض فما إن وضعت أقدامها على الرصيف حتى انطلقت الحافلة تاركة إياها في مكان منقطع بعيد! وتدور الأيام .. وتمر نفس الحافلة ذات يوم وتصعد روز إلى الحافلة وتجلس وبعد قليل تتوقف الحافلة لمجموعة من الركاب ولكن الحافلة كانت ممتلئة فطلب السائق من روز أن تقوم فقالت: لا. فهددها باستدعاء الشرطة قالت افعل ما بدا لك. وبالفعل أحضر الشرطة وأخذوها إلى السجن! طبعا هذه الحادثة تسببت في إحداث ثورة .. كان أيامها الناشط الحقوقي مارتن لوثر من أبرز الشخصيات المناهضة للتمييز العنصري في أمريكا فصعد القضية إعلاميا وطلب من السود جميعا مقاطعة الحافلات .. وبالفعل تضررت الحافلات .. لأن أكثر الركاب كانوا من السود. فما كان منهم إلا أن رفعوا شكوى يطالبون فيها بإلغاء هذا القانون العنصري وبالفعل ألغي هذا القانون الغاشم.

لا شكّ أن التفكير في المال أمر فطري؛ وقد فتح الله من أبواب الرزق الحلال الأبواب على مصراعيها لمن أراد؛ ولكن من المؤكد أيضا أن الله اصطفى لكل حرفة أهلها؛ وأودع في كل نفس ما يناسب استعدادها وموهبتها الخاصة. فعقلٌ مصمَّمٌ للفقه وعقل مصمّم لقرض الشعر؛ وعقل مصمّم للحساب. وكما قال رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام: اِعملوا؛ فكلٌّ ميسَّرٌ لما خلق له.

كنت آمنتُ فترة صباي أني بالقراءة سأغيّر مجرى التاريخ؛ وسأدير دفّة الحياة السعيدة بيديّ الصغيرتين؛ لقد آمنت حقًّا؛ واندفعت بكل ما أملك من قوة لاقتناء الكتب؛ ولم يمر يوم دون أن أرتاد مكتبة؛ وكان كلما نزل كتاب جديد في تخصصي الأدبي ولم أجد المال؛ استدنتُ حتى حمَّلتُ ظهريَ الكثير من الدّيون! ولم أكن أشعر بالتعب؛ وكيف يشعر بالتعب من هو في نعيم لا تسعفه قواميس البحار من الألفاظ على وصفه أو التقاط صورة من الخيال يمكنها أن تفي التحولات الفكرية التي كنت أشعر بها إزاء القراءة وارتياد المكتبات واستنشاق عبير الأوراق!

أعجبني كاتب معاصر اسمه/ محمد الرطيان يقول:

"بإمكانك أن تدور العالم كله دون أن تخرج من بيتك!

بإمكانك أن تتعرف على الكثير من الشخصيات الفريدة دون أن تراهم!

بإمكانك أن تمتلك "آلة الزمن" وتسافر إلى كل الأزمنة.. رغم أنه لا وجود لهذه الآلة الخرافيّة!

بإمكانك أن تشعر بصقيع موسكو، وتشم رائحة زهور أمستردام، وروائح التوابل الهندية في بومباي، وتتجاذب أطراف الحديث مع حكيم صيني عاش في القرن الثاني قبل الميلاد!

بإمكانك أن تفعل كل هذه الأشياء وأكثر، عبر شيء واحد: القراءة.

الذي لا يقرأ.. لا يرى الحياة بشكل جيّد.

فليكن دائمًا هنالك كتاب جديد بجانب سريرك ينتظر قراءتك له".

القراءة أسلوب حياة؛ كما يقول الدكتور/ راغب السرجاني؛ القراءة متعة، نافذة على المعرفة. أُقرأ لأعيش، أقرأ لأرقى، أقرأ لأبني المستقبل، أقرأ لأمحو الجهل، نقرأ لنعالج جروحنا. نعم، في كل إنسان قمَّة، عليه أن يصعد إليها وإلا بقي في القاع. قمَّتُنا قراءتنا. جميلة هذه العبارة الأخيرة: القراءة قمّتنا؛ سمعتها في برنامج كان يقام على التلفاز بعنوان: تحدِّي القراءة.

لكني كنت أذوب كما الشمع قهرًا عندما يأتيني خبر من أن قريبا أو صديقا في ورطة، ويحتاج إلى منقذ!

كان ذلك يذكرني بقول أحد شعراء اليمن القدامى لا يحضرني اسمه الآن:

لحـــا الله دهـــرًا خصَّـــني بخَصاصـــةٍ
فأقعـــدني عمَّـــا ســـعى فيـــه أمثـــالي

تنـــوب صـــديقي نائبـــاتُ زمانـــهِ
فتمنعـــني مـــن رِفـــده قلـــة المـــالِ

فـــوا أســـفًا مـــن مكرمـــاتٍ أرومهـــا
فيُنْهِضـــني عزمـــي ويُقْعِـــدني حـــالي

أتساءل وقد غامت وراء ظهري أطلالُ غربتي الطويلة؛ أين أنا؟ وما الذي حققته بالقراءة من ثروة لأبنائي على الأقل؟! إن نزف عيوني في الليل؛ ورفضي كل أصوات التجارة التي كانت تراودني ساعة انبساط الكتب بين يدي؛ لم تسعفني في كبري بوشَل! وعلى كل معرفتي بذلك الآن؛ فأنا لست نادمًا أبدا، بل إنني أحمد إلى الله أنه لم يودع في شغاف روحي غير العطش إلى قيم الجمال الخلاق. إنني كنت إذا حصلت على مال يصيبني القلق؛ ولا يهدأ بالي حتى أتخلص منه! ولماذا بالله عليكم أندم على ما لم أجد فيه نفسي يومًا؟ هل أتحسر على وظيفة الطبّ أو إدارة بنك مثلًا؟ وأنا صعلوك الحروف خلقت في بواديها أعانق أنسامها؛ وأصطلي حرّ كثيبها؛ وأناجي في

الـدياجي نجومهـا؛ وأعـبُّ مـن دِنان حاناتهـا. وأنا لا تـواتيني ملكـاتي ولا غرائزي على شيءٍ كالفكرة؛ تهبط في أيِّ ساعة شاءتْ؛ وعلى أي قالب أو أسلوب أو صورة فنية أحبَّتْ؛ لها من فؤادي رغائبٌ وميول؛ ومن خيالاتي صباباتٌ وقبول.

لم تكن هذه وجهتي من الكلام والله! وما جرّني إلى هذا الاستطراد تعمّد؛ وما أردت بهذا التكثُّرَ من السطور؛ وإنما أسلمت نفسي إليها؛ وأردت لنفسي أن تفيض بما يجيش في أعماقها من مشاعر وخواطر؛ وأن يظهر على السطح ما ينطوي تحت أغلفتها وقشورها؛ فلقد بدأت أشعر أن طول الكتْمِ أوشك أن يضر بها .. وبيَ أيضًا! لكنني منذ أول وهلة؛ أردت الحديث عن سبب رجوعي إلى الكتابة.

إنني أعترف أنني وقعتُ في جملة من العادات التي قد لا تكون سيئة بالمعنى الحرفي لكنها عادات تتسرب لا إراديا إلى روع وأعصاب أي عاشق للقراءة! أدركت الآن أنها عادات قاتلة!

إن السياحة في الأفكار حتى الضياع؛ تفقد المفكر استقلاليته. وعند إحساسه برغبته في التعبير عمَّا يعتلج في صدره من رؤى أو أحلام؛ يشعر أنه واقع تحت تأثير أفكار غيره من الكتّاب؛ إن أراد الحديث في الدين؛ وجد أنه يجتر أفكار الشيخ الفلاني! وإذا أراد الحديث بأسلوب أدبي؛

اكتشف أن هذا الأسلوب هو أسلوب الأديب الفلاني! وإذا أراد أن يعبر بقصيدة ما؛ وجد أنه يُحاكي الشاعر الفلاني في صوره الشعرية أو نفَسِهِ الشعريّ. يا إلهي! لقد كان طوال هذا العمر؛ يحمل بين كتفيه مستعمرة فكرية أنيقةً لا يستطيع أن يتحرر منها! أشبه بطائر في قفص جميل! معاذ الله أن أقصد التّنصُّل من متعة القراءة أو أتنكَّر لأولي الفضل ممن أعانونا على فهم الحياة؛ وإنما القصد الكتابة المنضبطة؛ الكتابة التي تثري ولا تستنسخ أرواحًا أو أصداءً مضتْ؛ الكتابة التي لا يتحسر فيها القارئ على ضياع وقته في تقليب أوراق مكرورةٍ مُعارة! ولذلك نبَّه الكثير إلى ترك الكتابة أو التأليف إن لم تكن هناك حاجة إلى ذلك كمناقشة فكرة أو تعليق على فكرة؛ أو نظرة إلى فكرة من زاوية مختلفة؛ أو شرح فكرة مبهمة مثلًا أو إضافة فكرة جديدة مما يدعو إلى التدوين وإثراء الفكر الإنساني على الدوام حتى يصل إلى الفردوس الأدبي المنشود.

كثيرا ما هاجم الفيلسوف الألمانيُّ شوبنهاور عشَّاقَ الكتب! كان يطلق عليهم الفئران! فئران الكتب؛ أولئك الذي لا يفرغون من كتاب حتى يشرعون في قراءة كتاب آخر؛ يُدخلون فكرة في فكرة؛ دون أن يكسبهم ذلك ملكة القدرة على التحليل والنقد. دون أن ترفَّ أجنحة الخيال الجبَّارة؛ فيأتي القلم بروائع الأفكار أو بأساليب في الكتابة أكثر إدهاشًا. كيف يمكنني أن أكون أنا؟ عليَّ أولًا أن أعترف أني كثير التأمل؛ أفدت من

عـزلتي؛ والعزلـة كـابوس إن لم تجـد في جليسـها روحًـا مسـتعدّة للتطـواف في أرجاء الكـون مسـفرةً عـن رغبتهـا بالاحـتراق عشـقًا بالنور؛ والفنـاء في النـور؛ متحررة من أوهاق الجسد؛ ساهمةً.. ذاهلة عن الوقت. وللإجابة عن: كيف يمكنني أن أكـون أنا؟ يمكـن القـول: بأن التأمـل والاهتمـام بموضـوع التأمـل؛ وتـدوير صـور التأمـل وطبيعته في الـرأس؛ هـو بمثابة وضـع الخطوة الأولى على الطريق الصحيح باتجاه الحريّة. إن العزلة تمنحنا الشعورَ بالحقيقة والقرب من الفطرة النقية؛ وسماعِ صوتها المتحشرج تحت كواهل حياتنا المادية التي تشبه الصـخور المتدحرجـة بعرامـة مـن أعلـى قمـة جبـل في العـالم. إن الكثـير مـن الحقـائق مطمـورة في الـنفس؛ وهـي بحاجـة إلى الكثـير مـن التنقيـب. أعجبـني استيفن كـوفي في كتابه الأخير: العـادة الثامنة في فصـل: اعثر على صـوتك يقـول فيما معناه: لقد خلق الله الإنسان وكنزه معه؛ إنه يقبع في الأعمـاق. ومثـل هـذا الكـلام ذكـره في القـديم الأديـب الراغـب الأصـفهاني في كتابـه: الذريعة إلى مكارم الشريعة قال فيما معناه: كل المعارف مركوزة في النفوس. لكـن النفـوس تغشـتها الحيرة؛ واختلاء الإنسـان المعاصـر بنفسـه أصبح مخيفـا لـه؛ في هـذا السياق تـذكرت موضـوعين؛ موضـوع في تفسـير الإمـام الطبري؛ وموضـوع في حـديث شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رحمـه الله؛ ففـي التفسـير يتحدث الإمام الطبري عن حيرة الإنسان في الأعماق؛ حتى لكأنه يتحدث عـن الإنسـان المعاصـر؛ يقـول في قولـه تعـالى: " أو كظلمـات في بحـر لجّـيٍّ

يغشاه موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سحاب؛ ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور " يقول: وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم، والبحر اللجي مثلًا لقلب الكافر غمره الجهل وتغشته الحيرة" وفي موضوع ما أشرت إليه حول قضية العودة إلى الفطرة النقيّة من خلال الاختلاء بالنفس؛ أوردُ هنا كلاما جميلا لابن تيمية رحمه الله؛ يقول: " فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة، فيصلح القلب، فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فطر عليها .. ثم استشهد لقدرة القرآن الكريم على صقل مرايا الروح ببيت شعري:

وعاد الفتى كالطفل ليس بقابلٍ .. سوى المحْض شيئًا واستراحتْ عواذلُه

وحول موضوع العزلة .. العزلة الشعورية أو الحسية تحدثت في كتابها الموسوم بمصيدة التشتت الكاتبة الأمريكية/ فرانسيس بووث لقد اقترحت أن نطلق على هذا العصر: عصرَ الأسلاكْ! لقد اقتحم الإنترنت حياتنا العامة والخاصة؛ كنا في القديم نستيقظ على أصوات العصافير أما اليوم فعلى أصوات التنبيه! رسائل من الجوال، ورسائل من الإيميل، ورسائل من الفيس بوك ..الخ أصبحنا ندور في دوّامةٍ من المعلومات التي لا تلبث أن تتلاشى؛ لقد فقد العقل القدرة على التخزين، لم يعد هناك وقت للتأمل؛ نخرج إلى الشارع؛ والأسلاك تخرج من جيوبنا ومن آذاننا ومن أفواهنا! لقد أصبحنا

متصلين بالأسلاك؛ وأضعنا فرص التحدث إلى الذين هم أمامنا! وهذا ملاحظ؛ ففي مجلس واحد يضم عشرة أشخاص تجد الجميع في لحظة ذهول! ليس غير أشباح خرساء!

تقول الكاتبة نصًّا: لقد أصبحنا نخاف أن نختلي بأنفسنا!

حتى الليل الذي يشرق في نفوسنا وعالمنا الخراب؛ وتتجلى فيه الإلهامات كعرائس الحور؛ أصبح ضجيج أفلام وأخبار!

(4)

يوميات الأربعاء – 8 سبتمبر 2021

لقد فرضت علينا الظروف كمعلمين أن نتعامل مع تقنيات التعليم عن بعد، فدعوني أسوق لكم بعض حلقات عن أعرابي على الزُّوم! على غرار "أعرابي في الحمّام" لعلي الطنطاوي في كتابه الرائع: صور وخواطر.

الحمد لله؛ أشعر بسعادةٍ غامرةٍ اليومَ. بعد إنهائيَ جدولَ الحصص. كانت هذه التجربةُ الأولى بالنسبةِ لي كمعلمٍ في التدريس على منصَّةٍ إلكترونية. وكذلك كانت لبعض الطلاب. نعم؛ واجهنا صعوبةً في البداية أثناء التسجيل. هل كان برنامجُ "الزُّوم" لديَّ بحاجةٍ إلى تحديث؟ ربَّما! لم يكن رابطُ دخول الطلاب من خلال المنصة جاهزًا بعد. كان الجميع في حالة توتر. أثناء دخولي المنصَّة، بدأت الاتصالاتُ تنهال عليَّ كالمطر! أرقام غريبة؛ بعضها من تايلاند، بعضها من إندونسيا، أولياء أمور، طالبات. كنت سعيدا حدَّ التوتر، لكن موعد الحصة الأولى كان قد حان! مرت اثنا عشر دقيقة، ولم أبدأ الحصة! أتصارع أنا ومنصة التدريس "منصَّة دارس" للتعليم الإلكتروني وبرنامج" الزّوم" كنت طوال الليل أرسم في ذهني أشكالًا، وأضع قصصًا وأخترع نكتًا تشويقية للطلاب، ولكن .. الحصة قد بدأت،

بل انسلخ منها وقت طويل، ولا تسمع إلا ضربات يدي على الكيبورد كأنها حوافر بغل!

بدأتُ أسمع نباحَ كلابٍ في عروقي من شدة الغضب، وبدأت أشعر أني سأتحول إلى لاعب ملاكمة يريد أن يقفز وأن يلكم؛ ولكن لحظة؛ أين هو الخصم؟ إنني أقف في حلبة الملاكمة وحدي! وحدي في الغرفة. لكني سمعت في داخلي صوتًا يقول لي: ألم تسمع الحاج عبده ماذا يقول: "اصبر يا ولدي وهي باتنجلي". خفف هذا النداء بعضا من توتري، فاسترجعت وذكرت الله عز وجل، فهو السميع الرحيم الكريم المجيبْ، ولن يخذل اللهُ طالبَ علمٍ دعاه من قريبْ، وسرعان ما جاء الفرج. يا للروعة! لقد قد بدأ الرابط يعمل. بدأ الطلاب يتوافدون على "الزوم" كأنهم نجوم صغيرة تصارع الظلام، وتتحدى الغيوم، وتقتحم المنصة يا الله! لقد كان لقاء جميلا. نعم، لقد شعرت بارتياح كبير. فليس أروع من ساعات الدرس!

"كانت هذه اليوميات مما خططت له لأحبب أبنائي الطلاب في مادَّة التعبير، لأعقد صداقة بينهم وبين القلم".

(5)

أمام البحر والناس على الشاطئ فجرًا يرفلون بالحيوية والنشاط، حيث أنامل الضوء النَّديَّة ترفع عن الوجود أستار الظلام، حيث أصوات البحر تستفز كل خليَّة في الجسم؛ وكأن على كل خلية قد وقف خطيبٌ منطيق، وشاعر خنذيذ، فإذا لواعج الحنين تنبعث من جديد! وإذا أجنحة الخيال تضطرب، وإذا ينابيع الإبداع تتدفق، وإذا النفس كطفلة بيدها ريشةٌ ترسم في الهواء الطلق، وإذا العقل كأنه نورسٌ يَمدُّ جناحيه يُشيّع المسافرين. لكنك أمام البحر لا تملك إلا أن ترهف السمع جيدًا وتعيد الإصغاء كأن البحر ساحرٌ يرتدي قبعة وجبَّة سوداء، يضع شريطا أسودًا مثقوبًا تطل من ورائه عينان ماكرتان، وإذا الناس على الشاطئ أمام مسرح كبير؛ يجلسون على كراسي مصفوفة منتظمة، والساحرُ البحرُ يُلقي تعاويذَهُ ويُمارس ألاعيبه! شيءٌ ما يعقد اللسان عن الكلام، ويطلق للروح وحدها العنان لأنْ تتحدث بوضوح.

البحر ملء المدى، والأطفال يمرحون. فرشنا على الشاطئ بساطًا، ووضعنا أمامنا حافظة القهوة؛ يا له من صباح جميل!

تذكَّرتُ طلابي؛ كم تمنيتُ لو أنَّا معًا فنجعل البحر موضوعًا لمادة: التعبير؛ فإن المشاعر في الإنسان تظل كامنة كمون الرماد أو جاثمة كجبل من الثلج

ثقيل الظل، على الأنفاس لا يتحلحل، يتضجَّرُ القلب، ولا يدري ما السبب؟ وتتشكَّى النفس ولا تدري مِمَّ؟ فإذا ما تنبَّه الخاطر، وتوقَّد الذهنُ، وصادفت المشاعرُ مثيرًا يستفزُّها، أو باعثًا يهزُّها، أو حافزًا يوقظها، خرجت من ظلمتها، كما تخرج الفراشة من يرقتها، أو كما يخرج المارد من قمقمه. وليس كالبحر عازفٌ؛ تُنصت لأنغامه جوارحُ الإنسان، وتسبح في خيالاته الأوراقُ والأقلامْ، فإذا اللسان يفيض بروائع الكلامْ. ليت طلابي معي فأحدثهم عن الرَّافعي أديب العربية صاحب كتاب" وحي القلم " ووقفت بهم على هذا التشخيص البديع؛ إذ يصور لنا الرافعيُّ القلمَ على هيئة ملاكٍ قد نزل من السماء بالحكمة، فجَرَتْ على يد الأديب إلى السطور!

"وحي القلم" يا له من عنوان جميل لكتابٍ تُغريك بقراءته إشاراتُهْ، وتحثُّك على تأمُّله أسرارُه. كان من عادة الرافعي أن يذهب إلى البحر إذا أراد أن يكتب. كنت سأتناقش معهم حول العلاقة الروحية بين الكاتب والبحر!

إن البحر خير معين للمعلم يساعده على غرس الجمال الأدبي وتنمية الذائقة في أذهان الطلاب. إن مرآة الروح لتحتاج إلى صِقال، وعضلات الكتابة لتحتاج إلى مِران. كنت سأقول لهم: أني عندما كنت في مثل سنِّهم قرأت في كتاب "جواهر الأدب": أن الجلوس أمام الأنهار والاستماع إلى مساقط الشلالات وإدامة النظر في الأشجار لمن أهم المنبِّهات لقوى الإبداع وأكبر حافز على الكتابة.

الكتابة؟ وما أجمل الكتابة! إنها نافذةٌ من الضوء إلى أعماقك، تستجلي من خلالها غوامض النفس وتغسل بها ما تراكم على وجهها من غبار الأيام، وهي بوَّابة إلى مدينة الغد؛ تطل من خلالها مناراتُها ومآذنها، وتبرق إلى عينيك أعلامُها وبيارقها، وتلوح إليك أبراجُها ومسارحها، وتنفذ إلى رئتيك روائحُ مكتباتها وخواطرُ أقلامها العطرة. فإذا بك تدفع أحلامك تجاهها؛ تنشد التغيير وتطلب الأفضل؛ ولا سبيل إلى ذلك إلا بالكتابة.

لقد رحل عنا الكثيرون، وتركوا لنا كتاباتهم مشرعةً تتأملها العيون، وتَغْذَى بها العقول كأنهم إنما أرادوا أن يتركوا لهم جسرَ عبورٍ إلى الدنيا؛ تعبر من خلاله أرواحهم، فتلقي على العصر نظرةً بين حينٍ لآخر.

أو ربما أرادوا أن يعقدوا صداقة متينة؛ فإذا ما قرأ اللاحقُ كتابًا للسابق؛ ارتسمت من خلال الحروف ملامحُ وجهه، فابتسم وشارك في النقاش.

أو ربما اعتقدوا بأن الحياة الآخرةَ ما هي إلا نتاجُ أقلامهم وحصادُ روائعهم، فأخذوا يقرأون ويَصِلون الليلَ بالنهار قراءة وتأليفًا؛ فإذا ما دنا الأجل، عاشوا في جنات من الكتب الوارفة تجري من تحتها أنهار الإبداع.

نقلب صفحاتهم، ونتحسس خيالاتهم، ونشاركهم لحظة الكتابة، ونطَّلِع على مظاهر عصرهم، ما الذي كان يشغلهم؟ كيف عبَّروا عن مشكلاتهم؟ فيضيف اللاحق إلى السابق؛ ويتجاوزه إلى الأفضل.

لو كنت مع طلابي على البحر، لطيَّرنا البوالين، وأرسلنا الطائرات الورقية؛ لتكتب على السحاب: أحبك يا يمن.

26 سبتمبر 2021

(6)

مهنة التدريس مهنة جميلة .. إنها العزف على أوتار الكلمة .. تماما كما يفعل الموسيقي العازف حيث يبدأ في التحضير النفسي .. يستجلب الصفاء الذهني أولا بكأس شاي .. ينتحي بعيدًا عن العيون .. يتخيل النغمة تسبح في فضاء من العطر .. يحلم .. يميل برأسه .. يذوب .. تمتلئ العاطفة ثم يبدأ الدّفق الشعوري .. فإذا الرغبة الجامحة حد الاختناق تدفعه دفعًا إلى آلته الموسيقية .. ثم يمر بتلك المراحل الإبداعية الثلاث: الترجمة والنقض والبناء. ترجمة ما استقبل من الكون من إشارات ورموز صوتية .. ونقض السائد / الواقع القبيح .. وبناء عالم جديد من الجمال.

مهنة التدريس صراع مع الفكرة .. والفكرة أساس الوجود. الفكرة النفوذ .. الفكرة الجسر بين الهمجية والرقيّ .. الفكرة في بطون الكتب .. عزيزة والطريق إليها ليس بالأمر السهل .. غير أنها تكون أحيانًا كحروف المباني لا قيمة لها إلا إذا أضيفت إليها جمل وتراكيب تبرز وظيفتها وتعرف قيمتها. الفكرة الإبداعية إذن هي تلك الإضافات التي قامت ذاكرة القارئ المبدع بانتقائها واستخلاصها عبر رحلة طويلة في الفعل القرائي .. إنها خميرة السهر وإكسير التأمل وترياق المراقبة. الفكرة الإبداعية في أي مجال أو تخصص دليل الذكاء والرِّيادة.

أنا أعشق التدريس بجنون .. تتفاعل كل قواي الجمالية أثناء التدريس .. يبدأ خيالي بالنهوض .. وعلى رفوف ذاكرتي يتطاير الغبار عن كتبي

الأثيرة.. ويبدأ قلمي باستعادة لياقته الكتابية .. ويبدأ لساني بدندنة الأفكار.

أثناء التحضير للمركز الصيفي الذي تقيمه المدرسة .. كنت كسيارة قديمة تغطيها الأتربة وأغصان الأشجار وأشياء أخرى! كنت أشعر بتكلّس عظامي .. وتيبس مفاصلي .. حقيقة كرهت فكرة المركز .. وحاولت قدر الإمكان التهرب والمراوغة .. كنت منجذبا للنوم والراحة بفعل العطلة الممتدة لثلاثة أشهر. رغم أني كنت ألاحظ قلة إنتاجي. ولم أكن أجهل أن فترة التدريس أخصب مراحل الفكر وشبابه. ومع ذلك كنت مستسلمًا للراحة.. مشاهدة الأفلام والخروج إلى الحديقة.

وكان كلما قرب موعد المركز شعرت بثقل في جسمي واتساع في دوائر العتمة بين عيني!

حتى حان الوقت ..

وها أنا على حين غرة أستيقظ باكرًا وأرتدي أجمل بدلة وأضع أجمل العطر في وسط ذهول العائلة!

كأني شخص آخر.

نعم؛ إذا كانت حرب فاستعد لها.

أخذت العائلة كلها معي. استعرضت وجوه الكثير من الطلاب والزملاء ونحن نغني في السيارة ترحيبًا بصباح جديد .. صباح المعرفة الأخاذ.

تقدم إليَّ أمام باب الفصل طالب، فابتدرني مصافحًا بوجه خلاق.

- السلام عليكم يا أستاذ

كعادتي أرحب بحرارة وأمط صوتي: ياا مرررحباا. وعليكم السلام. كيف حالك يا فتى؟

يا أستاذ يبدو أنك لم تعرفني؟

يا للإحراج!

شعرت أن رقبتي تترنح وتهبط تود لو تختبئ في بطني .. كنت واقفًا أمام الطلاب على عتبة الباب .. والفصل للثانوية وفيه طلاب وطالبات لا أعرفهم!

برقت في رأسي فكرة؛ اهتبلتها وأنا أقول في نفسي: "وجدتها" قلت مراوغًا: يا بنيّ أشكال وجوهكم على الزُّوم تختلف كثيرًا .. وجهك مألوف جدًا .. فأنت قل لي أولًا: هل أنت ...؟ فقاطعني الطالب كأنه هو الآخر يشعر بالإحراج. طبعًا كيف لا يشعر بالإحراج وأستاذه لعام كامل لا يذكر اسمه؟!

- أنا عبد الرحمن.
- أوه!! أنت عبد الرحمن؟ قلتُ وقد ارتسمت على وجهي علامات الدهشة. وفي الحقيقة لم أذكره .. كنت محقًا.. فوجوه الطلاب على الزوم مختلفة تماما على أرض الواقع. أضف إلى ذلك أنه خلال العطلة تحدث تغييرات فسيولوجية للمراهقين .. بعضهم انتفخت خدوده قليلا .. بعضهم ازداد طولًا.. بعضهم ابيضَّ وجهه .. حقيقة ربما فترة كورونا والجلوس في البيت وقَتِ البشرة من الشمس!

سبحان الله! أمر الذاكرة هذا أمر غريب! متى تذكرت طالبي عبد الرحمن؟ عند عودتي إلى البيت وأنا في محطة بنزين دون سابق إنذار. هكذا فجأة !!

فعلًا، ذاكرة الإنسان انتقائية كما يقول فرويد. فعلا إنها كذلك. كان عبد الرحمن من طلابي في الصف السادس الابتدائي. نحيف كقلم رصاص .. جبهته واضحة وحادة .. عنقه كعنق زجاجة. يبتسم كثيرا. تطغى المحلِّيّة على كلامه .. يبدو أنه من صعدة خجول. طبعًا وكان في الفصل آخرون ممن أعرفهم .. لم تتغير ملامحهم كثيرًا ..

بدأ طلاب يطرقون الباب .. يسلمون .. يدخلون .. كان الفصل خليطا من طلاب الإعدادية والثانوية! كان المركز بصراحة بحاجة إلى تركيز قليلًا.

فما الجامع في درس اللغة العربية بين الإعدادية والثانوية؟ لا أتحدث عن مواضيع الدروس فحسب بل في الفارق النفسي.

شعرت حين عدت البيت بحب القراءة .. تحدثت عن أربع روايات في الفصل هذا اليوم! سعدت كثيرا بذاكرتي .. أردت أن أبوسها وأعانقها .. إنها عبقرية. لقد فتحت لي مما قرأته سابقا مسرحًا تدور فيه الشخصيات والأحداث والحوارات .. كان الطلاب في قمة التفاعل. أحببتهم. أردت أن أنفض عن العربية ما ران عليها من صدأ السنين وجموده .. كان المدخل للتدريس رائعا .. فالحديث عن روائع الأقلام يتضمن وحيًا خفيًا بأهمية الاهتمام النحو وقواعد الإملاء. ففروع العربية الأربعة من قراءة وكتابة ونحو وتعبير متكاملة لا فصل بينها .. لا يوجد نحو معزول عن التعبير الفني. ولا القراءة عن الكتابة.

العربية كائن كامل ومتكامل.

كان الأسبوع حافلًا ..

"أهلا بكم أيها الرائعون .. انظروا! حتى في العطلة وأنا أفكر بكم!

لقد أذهلتموني حقًّا .. أنتم تستحقون كل تقدير .. لقد رسمتم على وجهي فرحة كبيرة

ليس عبثًا أن يُقال أن اليمنيَّ عبقريٌّ بالفطرة لقد لمستُ ذلك بنفسي لديكم.. لقد قرأت ذلك في حضوركم وتفاعلكم. كم ستكون فرحة اليمن كبيرة لو كان لليمن وطن خالٍ من الظلم والحرب!

لكن الله على كل شيء قدير؛ قال: اقرأ؛ لأن القراءة بإمكانها أن تدير بكم عجلة التاريخ وتصنع بكم أقدار التغيير (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) من كسل وعجز وتضييع للأوقات إلى نشاط وحيوية واستغلال لكل دقيقة بين الكتب

في رواية الخيميائي .. كان بطل الرواية يسافر من مكان إلى آخر باحثا عن الكنز الذي رآه في منامه وأكَّدته العَرَّافة! لقد واجه الرياح والعواصف وواجه قطّاع الطرق ولكنه .. اكتشف في نهاية المطاف أن الكنز كان بالقرب من الصخرة التي كان يضع عليها رأسه وهو يرعى غنماته عندما كان يأخذ قسطًا من الراحة في خرابة!

إن الكنوز في أعماقنا فعلينا أن نفتش عنها ولا نذهب بعيدًا.

وفي رواية صاحب الظل الطويل كانت الطفلة اليتيمة "جودي" تملك موهبة الكتابة الساخرة لكنها لم تكن واعيةً بموهبتها بسبب انشغالها بتنظيف وكنس الملجأ الذي تُقيم فيه. ولأن أحد المحسنين لمس وهو يقرأ أحد رسائلها أنها تملك موهبة الكتابة؛ قرّر أن يتبنَّاها ولكنه اشترط عليها أن تكتب له

يوميًا وتبعث له عبر البريد كما اشترط عليها أيضا أن لا تراه. فوضعت لنفسها أقسى برامج القراءة والكتابة من أجل التطوير والتعلم؛ وتدور سلسلة من الأحداث القاسية ويستمر الالتزام بالشرط حتى كبرت ودخلت الجامعة وكتبت أول رواية لها فبعيث بآلاف الدولارات، وحين استلمت ثمن الرواية قررت أن تكافئ ذلك الرجل المحسن .. وحين وصلت إليه ... كانت المفاااجأة!

أظنني سأتحلّى بقليلٍ من اللؤم؛ وسأترك لكم اكتشاف تلك المفاجأة بأنفسكم!

الشاهد في هذه الرواية: إن القراءة يمكن أن تكون سفينة النجاة من الظروف القاهرة.

حين كنت في السعودية رأيت صورة لرجل روسي بلا أطراف .. أهدته الدولة جائزة تقديرًا لفنّه!! بلا أطراف ويستطيع أن يرسم أجمل اللوحات الفنية؟؟!!

كان على سريره في المستشفى أمامه لوحة بيضاء متوسطة .. مادًّا عنقَهُ تجاه اللوحة قابضًا على فرشاة التلوين بأسنانه!

حقًا؛ إن الإنسان معجزة! كان من حقه أن يقول: أنا مريض؛ انظروا إليَّ .. لقد انتهيتُ فأنا بلا يدين ولا رجلين .. ماذا عسايَ أن أفعل؟!

فعلًا .. ما الإنسان إذا لم يترك كتابًا أو فنًّا وراءه؟

هناك الكثير من قصص النجاح المذهلة أجمل هذه القصص هي أنتم. لقد قهرتم ظروف الغربة ورميتم وراء ظهوركم كل أسباب التّواني والخذلان وأقبلتم بقلوبكم على المعرفة تلوِّنون الصباح بإبداعاتكم؛ وتشدّون انتباه الغد بأحلامكم.

في يوم ما .. والذي أسأل الله أن يحييني حتى أراه .. ستشرق أقلامكم بروائع الكتب بعد الذي قرأته من كتاباتكم ليس لدي أدنى شك في ذلك.

غدًا بإذن الله سيكون لنا على الساعة العاشرة صباحًا لقاءٌ عبر برنامج الزوم يستضيفنا فيه نادي القراءة فمن أحب أن ينضمّ إلينا فحَيَّ هَلا.

لكن .. لا تتركوا السبت والأحد يمضيان بلا كتابة".

"كانت هذه الرسالة على مجموعة " هديل الأوراق " التي قام بإنشائها الطلاب .. كتبتها صباح السبت .. كان تفكيري لا يتوقف".

2022 / 7 /17

(7)

المعرفة والشغف

كنت وأنا أستعرض في ذهني بعض المواضيع حول المعرفة والعلم وحول الطموح والهمّة العالية في تحقيق الإنسان لذاته ووضع بصمته على الحياة، وفي رفد المجتمع بما يساعده على الانتصار والتغلُّب على التّحديات والعوائق التي دوما ما تمنعه من النهوض واللحاق بركب الحضارة كالأمّيَّة والتخلُّف والعصبيّة العمياء والقتل وما إلى ذلك.

أفكر في سبب كل ذلك؟

لماذا يُريد الإنسانُ الحصولَ على المعرفة؟

لإيمان الإنسان بقدراته العقلية والإبداعية .. لإحساسه بتفوقه على الكائنات .. بقدراته على التحليل وقدراته على السَّبر والتنظيم، وإخضاع كل ما تحت يديه للتجريب واستخلاص الحكمة. يدفعه إلى ذلك الشغف بالانعتاق من قبضة الحيرة والشك والقلق .. فإن الجهل نقص في الإنسانية وانتكاس إلى درك البدائية، يتسبب في القلق والاكتئاب.

لكنَّ ذلك – أقصد الحصول على الشغف- لن يحصل إلا لأسوياء الفِطر وأذكياء العقول .. الذين يكتنف أرواحَهم الشعورُ بالعظمة، والإحساسُ بالتميّز.. فهم يرتفعون على الشواغل التي تشغل سائر الناس من حاجيات أساسية كالطعام والشراب، وما إلى ذلك من صراع وتكالب على الحطام.

الشغف بالحقيقة وتحمّل التّبعة.

والمرء على ما تعوّد وأخذتْ نفسُه عليه.

وليس أدلّ في تاريخ المعرفة الإنسانية على أولئك الذين هجروا للعلم الطعام والشراب ولذيذ النوم كعلمائنا في القديم رضوان الله عليهم.

نظرة متأملة على كتاب صفحات من صبر العلماء في الشّدائد والتّحصيل تجلي عن القلب الغشاوة وتفيد اليقين وتبعث على الزّهو!

كم يبلغ الشغف بالقراءة لدى أناس كانوا يصلون الليل بالنهار ولا ينقطعون عنها إلا للضرورة؟ حتى أنهم ابتكروا حيلًا لتفادي النوم؛ فكان أحدهم يقرأ ويضع أمامه إبريق ماء، فإذا ما هوّمت العينُ بالنعاس، مدّ يده إلى الإبريق، ونضح الماء على وجهه حتى يتجدد النشاط!

وكان أحدهم يقطع على النوم الطريق، فيأخذ الكتاب ويمشي إلى أن يسقط مغشيا عليه من التعب .

وكان الجاحظ دوما ما يسقط الكتاب على وجهه عند النوم .. حتى مات تحت كتبه!

ولو فتحت في الكتاب المذكور آنفًا على فصل "الرّحلات في طلب العلم" لوقفت إجلالًا لأولئك الأفذاذ وهم يجوبون الصحاري ويقطعون البحار، وعلى ظهورهم الكتب والأوراق .. رغبة لما في المعرفة من نور وراحة .. يمكن أن تفيد الإنسانية جمعاء.

تلك حكايات عشق من نوع آخر .. تفنى فيه الأعمار ولما نبلغ وَشَلًا منها.

وسيشتد بك العجب عندما تعلم أن من وراء ذلك العشق والتطلع للمعرفةِ أمٌّ وأب!

نعم؛ إن البيت هو الجامعة الأولى في العالم .. قبل أن تكون هناك جامعات وجوامع التربية على التميّز والأخذ بأسباب النجاة والنجاح والإرشاد إلى الطريق الذي سيحقق ذلك في ميادين الشرف والبطولة أو في ميادين العلم والتأليف .. إنما يستلهم من البيت.

ما أجمل مقولة أمّ سفيان الثّوريّ! تلك السِّيمفونيَّة من الكلمات التي لا يزال يتردَّدُ صداها في جنبات التاريخ: "يا بنيّ اطلب العلمَ، وأنا أكفيك بِمِغْزلي"!

حين كانت القصور تنعم برغد العيش وترمي الدّنانير تحت أقدام الجواري.. كان الفقر يجثم على بيت سفيان الثوري وهو صغير لا حيلة له. وقفت أمّه وهي كأنها تنظر من وراء حجب .. مؤمنة بقدرات طفلها .. تحفّزه لطلب العلم.

وها هيَ بالمثل أمّ الشافعيّ تهمس إليه والحزنُ يعتصر قلبها خوفًا على ضياع مستقبله: يا بني مات أبوك، وإننا فقراء وليس لنا مال، وإني لن أتزوج من أجلك، وقد نذرتك للعلم، لعل الله أن يجمع بك شمل هذه الأمة ".

وانظروا إلى مثل هذه الصفحات المشرقة من التاريخ:

عندما كان صلاح الدين الأيوبي صغيرًا، شاهده أبوه يلعب مع الصبية، فأخذه من وسط الأطفال ورفعه عاليًا بيديه وكان أبوه رجلا طويل القامة وقال له: ما "تزوجت أمك وما أنجبتك لكي تلعب مع الصبية ولكن تزوجت أمك وأنجبتك لكي تحرّر المسجد الأقصَى.

و تركه من يده فسقط الطفل على الأرض .. فنظر الأب إلى الطفل فرأى الألم على وجهه فقال له: آلمتك السقطة؟

قال صلاح الدين: آلمتني

قال له أباه: لِمَ لمْ تصرخ؟

قال له: ما كان لـ مُحرّر الأقصى أن يصرخ"

يقول: الإمامُ مالك:

"كانت أمّي تلبسني الثياب، وتُعمّمُني وأنا صبيّ، وتُوَجّهُني إلى ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وتقول: (يا بنيّ! ائتِ مجلسَ ربيعة؛ فتعلَّم مِن سمته وأدبه، قبل أن تتعلم مِن حديثه وفقهه)".

وكان محمَّدُ الفاتحُ وهو صغير تَأخذه أُمُّهُ وقتَ الفجر، ليشاهد أسوارَ القسطنطينيّة وتقولُ له: أنت يا محمَّد من سيفتح هذه الأسوار، لأنَّ اسمك محمَّد؛ كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التربيّة على التميّز وقوة الطموح:

وكل هذا أثر من مدرسة محمّد عليه الصلاة والسلام: فهذه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها لم تكن تبالي بولدها الزُّبير، إذا سَقط من على ظهرِ الفرس.

وحتى أن العرب لم تكن قلوبهم لتأكلهم خوفًا ورعبًا وهم يرسلون أولادهم إلى البادية بالشهور والسنين لتعلُّم الشِّعرِ والفصاحة.

ولله الشاعرِ إذ يقول:

أولئك آبائي فجِئني بمثلهمْ .. إذا جمَّعتنا يا جريرُ المَجامعُ

لذلك لما جاء الدين الإسلامي الحنيف جاء على فطر سليمة وأساس متين من الصفاء والحريّة؛ فصادفت قوتُه الرُّوحية قوةً بدنيّة، وقوةً بلاغية .. وقوةً لغوية.. فخرج أمثال خالد بن الوليد والزبير وسعد والمثنى والقعقاع، وحين خرجوا إلى العالم لم يعودوا إلا بمُلك كسرى وقيصر؛ وكذلك بمثل تلك المفاخر في الأدب العربي كأمثال أبي تمَّام والبحتري والمتنبي؛ فسُجّلوا في سجّل الخالدين.

أختم حديثي إليكم بهذه الاقتباسات الرائعة من مقالة بعنوان: القراءة في المواصلات والأماكن العامّة.

"عوِّد نفسَك يا صديقي أن تدسَّ بين ملابسك وأنت على أهبة السفر كتابًا أو كتابين، كما تدسُّ قارورةَ عطرك الجميل، وقميصَك الأنيق، وفرشاة أسنانك الضرورية. إن القراءةَ في الأماكن العامة والمواصلات؛ كالحافلات، والقطارات، والمقاهي، والحدائق، والمنتزهات وغيرها – أصبحت شبهَ منعدمة في ديار المسلمين، بل أصبح القارئُ الذي يحمل كتابًا يَدفن فيه وجهَه في هذه الأماكن – شخصًا شاذًّا في نظر الكثيرين، تنظر إليه الأعينُ باستغراب، وكأنه أتى شيئًا من المنكر الذي يستحقُّ عليه التعزير" .. "ومن علمائنا من صنَّف الكتب وهو في سَفَر؛ كابن القيِّم رحمه الله، فقد ألَّف

كتابه العظيم (زاد المعاد في هدي خير العباد) وهو بعيد عن مكتبته وداره، يقول العلامة بكر أبو زيد: "ومن المدهِش أن هذا الكتاب أمْلاهُ مؤلّفه رحمه الله تعالى وهو في حال سفره وغيبته عن داره ومكتبته".

"وقد وضع طبيبٌ لنفسه قانونًا صارمًا أن يقرأ كلَّ ليلة ربع ساعة مهما تأخَّر في عمله، وقبل أن يأوي إلى فراشه، فإذا هو يجد نفسه بين المشتغلين في الأدب بجانب تخصصه المهني، وإذا به يشعر بسعادة غامرة؛ ساعدته على التفوق والنجاح في تخصصه نفسه" .. "وإذا كانت القراءة أهمَّ وسيلة لاكتساب المعرفة، وإذا كان اكتساب المعرفة أحدَ أهم شروط التقدم الحضاري، فإن علينا ألا نبخل بأي جهد يتطلَّبه توطين القراءة في حياتنا الشخصية، وفي حياة الأمة عامة؛ فالمسألة ليست كماليَّة ولا ترفيهية؛ وإنما هي مسألة مصير".

الوهجُ الخلاقُ

إن الشعور القاتل بالعجز .. الاستكانة للمحيط .. والصبر السلبي لا الصبر الإيجابي الذي هو بمثابة الحافز للسعي والبحث عن الإجابة. كل ذلك من ألد أعدائك في الحياة.

إن الخسائر فادحة، والحزن أصبح قدرا لا يفارقك، وسواء كنت مغتربا عن الوطن أو مغتربا في الوطن .. كل ذلك يصادف في طبيعتك الرغبة في الدعة والهرب من مواجهة المشاكل.

وهذا بالضبط ما يريده المحتلّ .. المحتل الخارجي كما في فلسطين الحبيبة أو المحتل الداخلي كما أوطاننا العربية! مخلوقات غريبة لا تمت إلى تاريخنا ومستقبلنا المنشود بأي صلة. إنها تشبه المخلوقات الفضائية لا تنطق لغتنا ولا تفهم ما نريد. لكننا نعلم عنها كل شيء: إنها مخلوقات غبية. تلقت دعما خارجيًا واستقطبت مجموعة من اللصوص والزَّعارير والتفّ حواليهم شلة من رجال الدين الحمقى فأصبحوا بهم دولة!

لقد أخطئوا خطئا فادحا عندما افتتحوا المدارس ووضعوا المناهج الحديثة فاطلعنا منذ النشأة على تاريخ النهضة الأوروبية، فاستثارنا موضوع الاكتشافات العلمية والسبر المعرفي في الأحياء والفيزياء والعلوم الكونية، وإن كانت مجرد إلماحات إلا أنها كانت كافية لأن تعيش في خيالاتنا على الدوام. **الوجود وما يقوم عليه من مادة وحركة وزمن. قصة اكتشاف الجاذبية، خرائط الإدريسي ورحلة ماجلان عبر البحار، عصر التنوير وظهور المدارس الأدبية الحديثة من كلاسيكية جديدة ورومانتيكية وواقعية وسريالية .. إلى آخر تلك المعارف التي كانت ولا تزال تستحثنا على التغيير.**

لقد دخل الحكام علينا بالعهد البائد وفكرة: ابني الخليفة من بعدي وإلا .. السيف! فظلوا على أميتهم. عروقهم ممتدة إلى شجرة الماضي البعيد، بينما الأبناء في المدارس يطلون على التجارب الحديثة ويتعرفون على المعجزات والمخترعات والكشوفات، وطرائق التفكير العلمية، وأشكال الحكم الحديثة، والمؤسسات الممتلئة لا المؤسسات الفارغة، الحقيقية لا الوهمية. يأخذ مبنى وزارة الثقافة مساحة من الأرض كبيرة، تزاحم السماء في العلو، وهي بلا ثقافة، ومجتمعنا بلا ثقافة! بينما في الغرب لا يوجد شيء اسمه: وزارة ثقافة، الثقافات سلوك حضاري .. الثقافة مختلطة بالناس ومنعجنة بهم. الثقافة طريقة في الحديث، ومعرفة حقوقك الفطرية على الدولة. تعامل الناس فيما

بينهم البين. كيفية التعاطي مع الوسائل السياسية كالحزبية والمنظمات النقابية. فهم الديمقراطية على النحو الصحيح. فهم الديمقراطية فهمًا يجعلها من أعظم قضايا الوجود. أن تحقق ذاتك من خلالها. ليست مجرد هامش هلامي. أن توفر للمدرس كافة وسائل الراحة لأداء واجبه النضالي الكبير. أن ترفد طلاب الجامعة بمكتبات ومراكز بحوث. أن يعبر الكاتب والأديب بكل حرية وأن ينتقد التصرفات الغير مسؤولة في الدولة لا يخاف في الله لومة لائم.

هذا حلم الإنسان العربي الكبير. هذا حلم الآباء والأجداد. هذا السر من وراء حرصهم على تعليمنا في أن نحقق ما لم يقدروا على تحقيقه. هل أنا بحاجة إلى أن أذكركم بما كانوا عليه من عيش؟

لقد كان رواد النهضة الأدبية العربية الحديثة وعلى رأسهم الشعراء المعاصرون كالزبيري والبردوني والمقالح ونزار ودنقل ودرويش وقاسم حداد وقافلة طويلة طويلة رياحًا تعصف بالمستعمر والكهنوت وقلوبا تنزف حزنا على حال الناس ومطارق من حديد على رؤوس الحكام العرب وهتافاتٍ صاخبة: أن هبوا واخرجوا على هذا الواقع اللامعقول.

هذا الحلم هو النور الذي يتوهج في ظلمات الذاكرة ولا يزال. أن تشرق الشمس على أوطاننا وقد صارت أيام الحرب رمادًا وأصداء باهتة تنعق في

الماضي السحيق وقد نهض العمران وأزهرت الحدائق، وصارت المواطنة مفهوما راسخًا الجميع متساوون في الحقوق والواجبات.

لقد لخّص البردوني هذه الحاجة الماسة لهذا الحلم النوراني في أبيات درامية ساخرة في قصيدة (مأساة حارس الملك) يوجهها لكل نظام حكم عربي بائس:

سيّدي: هذي الروابي المنتنه
لم تعد كالأمس، كسلى مذعنه

(نُقُمٌ) يهجس، يعلي رأسه
(صَبِرٌ) يهذي، يحد الألسنه

(يَسْلَحٌ) يومي، يرى ميسرة
يرتئي (عَيْبانُ)، يرنو ميمنه

لذرى (بعدانَ) ألفا مقلةٍ
رفعت، أنفًا كأعلى مئذنه

لقد عرف الناس وحذقوا ولم يعد بالإمكان الزيف وتضليل العقول.

لقد مللنا من هذا الواقع المنكود، وهذا المألوف السائد، ولم يعد بإمكاننا التبلّغ بشيء من فضول الحياة حتى لقد أضحى كل شيء في فمنا مالحًا حتى الأغاني والقصائد:

"مالحةٌ في فمنا القصائدْ

مالحةٌ ضفائرُ النساءْ

والليلُ والأستار والمقاعدْ

مالحةٌ أمامنا الأشياءْ"

نزار قباني

يقول الدكتور / جاسم سلطان في كتابه (الذاكرة التاريخية للأمة):

".. فعندما تفقد الأمة الإحساس بقدرتها على التفوق والتقدم والانتصار، عندها تبدأ عملية الهبوط. فالعامل النفسي هام جدا. ففي فترة الطموح وفترة الهمة وفترة الشعور القوي بالذات تبدأ انطلاقات الأمم. وفي فترة الانهيار يفقد الانسان ذلك البريق الداخلي والإحساس الداخلي بالذات وينطفئ الوهج الخلاق الذي يدفعه إلى التحرك والعمل. وكل أمة تفقد هذا

الوهج فمصيرها إلى الانهيار. ولم تعد قضية الباعث النفسي متروكة للصدف إنما تعمل أجهزة الإعلام والتعليم على زرع وبعث هذه الثقة بالذات. كما تقوم أجهزة الخصم على الطرف الآخر بتحطيم هذه الثقة بالذات من خلال إعلامها وتعليمها".

لقد طالت المقالة رغمًا عني. سأكتفي بهذا القدر والسلام.

يوميات اللعب بالكواكب

31 مارس 2019

دعوني اليوم لا أحدثكم عن الشعر ولا الشعراء بل عن تلك الأصقاع المجهولة في وجدان الإنسان

عشقنا للأشياء الذي لازال ممتدا من الصغر حتى الآن .. برَّاقًا كألوان الفراشة

منظر كرة القدم وهي تدور حول نفسها بسرعة متجهة إليك كأنها كوكب صغير تدور من حوله الأشياء ..

صوت المدرّجات الذي يجعل كل ذرة في الجسم تتحول إلى ألعاب نارية تنفجر في الهواء، أو إلى خيول تركض في الرياح.

الحماس .. القوة .. الحيوية هذه المعاني المكَهْرَبَة هي أول ما تنطبع في ذهنك عندما ترى ذلك العشب الأخضر ممتدًا بين عينيك. ذلك المنظر الذي تحس فيه أن أقدامك قد أصابها مسٌّ من الجن فتشعر بها تهتز

وتنتفض .. شيءٌ ما يدفع أقدامك الآن لأن تطير .. لأن تحتضن أرضية الملعب .. لأن تشمُّ طعم التسديدة.

ليس هناك في التاريخ أكثر شهرة من كرة القدم .. الساحرة المستديرة كما يسميها فارس عوض، إنها الموسيقى التي يعزفها الجميع، هل تتخيل نفسك وأنت في هذه الأجواء وتأتيك الكرة مرتفعة من بعيد .. تدور .. وتدور معها الأصوات والعيون والأنفاس، هَا هيَ تقترب منك. هَا أنت تقفز بهدوء مترنحًا قليلًا إلى الوراء لتستقبلها بثبات فتدق في صدرك فترتدّ نازلة إلى قدميك ببطء تام!

أتخيل صوت ارتطام الكرة بصدر اللاعب الماهر كأنه صوت نغمة الصُّول القرار عندما يبدأ المطرب بأول تقاسيمه على آلة العود.

وكما في الشعر تعتمد الصور الفنية فيه على الإحساس العبقري، كذلك في كرة القدم يعتمد فيه إيقاعها والتحكم في اتجاهاتها الإحساس العبقري أيضًا!

وكما أن الشاعر المتميز يعتمد على جهازه اللاقط في كتاباته الإبداعية، فكذلك اللاعب المتميز يعتمد على جهازه اللاقط في لمساته وتمريراته!

كرة القدم لا تعتمد فقط على اللياقة البدنية والتدريب العميق بل تعتمد في الأساس على إحساس اللاعب الملهم بها .. إنها أشبه بالقصيدة الحلم

القصيدة التي لم تكتب بعد، فتظل تنشر غلائل من نور أمام أعين الشاعر كأميرة فاتنة ثم تغيب في الأحلام.

حديث من وحي التكنلوجيا

كل ما حولنا يدعونا لأن نخرج مما في أيدينا واهتماماتنا، ونلقي بأنفسنا في دوامة الصراعات والمناكفات السياسية.

صار الذي يعظ أو يذكر الناس بآية .. غريبا! كأن الآيات قد استهلكت واستنفذت وظائفها فلم يعد ينتظر الناس منك في هذا الزمان إلا خبرا سياسيا أو تحليلًا صحفيا أو سماع أنباء عن كوارث جديدة. حتى أني لم أعد أعرف عن ماذا أكتب؟ أقرأ عن مصطلح "الشعرية" وقواعد الذوق الفني وشروط الإبداع، والناس تجرف الفيضانات بيوتهم ورجالات الدولة كأن الأمر لا يعنيهم! لا خطاب تعزية أو دعم أو مساعدة في إنقاذ.

على الأقل اشكروا الناس الذين تطوعوا من ذوات أنفسهم للمساعدة. ما من مجيب لداعي!

أتخيل الناس كحال من وقع في كمين .. ينتظر ساعة انفجار .. أو طلقة رصاصة!

لكن .. لكل يوم همومه واهتماماته. إنك في اللحظة التي أنت فيها الآن .. تنهال عليك الأخبار والمعلومات من كل حدب وصوب .. على اختلاف مصادرها وألوانها وصدقها وكذبها .. فلتجعل إذن مما ينهال عليك ما أقوم بكتابته الآن .. فليس يضيرك أن تتسلى قليلًا بساعات بين الكتب.

قبل أسبوع .. حصلت على جهاز القارئ الالكتروني للكتب. اسمه "Kindle". إحدى مواهب التكنولوجيا التي تطالعنا كل يوم بجديد مفيد للبشرية. صمّم هذا الجهاز لعشاق الكتاب الورقي. رغم أن الكتاب الورقي لا يقوم عنه بديل إلا أن هذا الجهاز صمّم لراحة العين، وبإمكانيات تتفوق على الكتاب الورقي بصورة أكبر. أهمها: إمكانية تدوين الملاحظات على الكتاب الذي شرعت في قراءته. ثم استحضارها وبقية الملاحظات والاقتباسات من مكان واحد، وإرسالها إلى الإيميل.

هذا الجهاز لا وسائط فيه .. لا واتس ولا فيس بوك ولا يوتيوب ولا حتى إيميل .. صمّم للقراءة لا غير.

النسخة الأخيرة .. سمحت بتنزيل الكتب العربية على صيغة الكندل .. مكتبة الهنداوي على جوجل قانونية وتسمح بتنزيل الكتب بصيغة: KFX المناسبة للجهاز.

الحديث عن الكندل ذو شجون .. فهو صغير الحجم .. رشيق كغصن .. لطيف كصورة القمر.

الأهم من هذا .. هو عبقرية التكنلوجيا وطموح التقنية في أن تصل بالإنسان إلى منتهى الراحة. لأول مرة .. منذ عهد بعيد .. أقرأ خارج دائرة الأدب!

قرأت حول تقنية جديدة " النانو " حول صغائر المادة ومدى قدرتها على تغيير خصائص بعض الأشياء التي تتعلق بالمواصلات والأدوات الطبية والغذائية والمواد الحافظة للطعام وتنقية الماء والهواء والإفادة من تقنية الطاقة الشمسية بأقل التكاليف والسعي إلى الطاقة النظيفة عوضا عما اقترفته البشرية من شوفانية وسادية تجاه البيئة والطبيعة .. شاهدت بعض تجارب في تغيير خصائص بعض السيارات في اليابان بأن تضاف للسيارة أجنحة شاهدت تجربة أخرى عبارة غسالة تخرج الملابس منها فلا تتجعد ولا تتعفن لمدة أسبوع كاملا!!!

أيمكن هذا؟ هل نحن في فلم سينمائي لخيال العلمي؟ نعم. يحدث مثل هذا وزيادة.

خلال العشر أو العشرين سنة القادمة .. سيصبح ما نراه في أفلام الخيال العلمي .. حقيقة لكني .. كنت أتساءل: نحن العرب .. إلى أي مدى

يمكن أن تغير هذه التقنيات أفكارنا المتخلفة وعاداتنا السيئة؟ لقد اكتشفت الطابعة والحاسوب وانتشرت دور النشر وتدفق النفط وصعدت الأبراج إلى أن أصبحت السحاب تنظر إليها من أسفل .. وقامت المولات والمراكز التجارية عن يمين الطريق وشمالها .. وانتشرت الموضات العصرية في الملابس والزينة وقصات الشعر .. لكن .. لا تزال أرواحنا قبليّة بدوية عنصرية طائفية إلى أبعد حدٍّ .. من الظلمات.

الدولة التي خولت بتنظيم الحياة في المجتمع .. لم توجد حتى الآن! قامت بدلا عنها أسر وعوائل وميليشيات تحكم بالدم.. وبرابطة الدم .

الرئيس الذي قلّد في عنقه أمانة السهر والقلق على المواطنين .. غير موجود.. اعتقد الناس فيه العصمة .. فبلغ به الحال أن ظن بنفسه الألوهية.. فجعل التشويه والقتل وسيلة شرعية وطبيعية لترسيخ دعائم الأمن في المجتمع.

المواطنون الذين يفترض بهم أن يدرسوا الحكمة والمنطق والفلسفة .. وأن يجتهدوا .. وأن يصلوا الليل بالنهار قراءة وكتابة وتعلما وتحصيلا للعلوم والآداب والفنون .. غير موجودين!

أو أنهم محاصرون .. أو أنهم غارقون إلى الأذقان في دوامة المناكفات.

إذن .. ما الفائدة من اقتنائنا لهذه التكنلوجيا؟ لم تخرجنا محتوياتها وثقافتها ومعاصرتها من دائرة البداوة!

جوال حديث برّاق في يد عقليةٍ متفحّمةٍ .. متحجرة!

هل يمكن لشاعر يمني معاصر – إن صحّ أن يسمى معاصرا – يعترض على الأجناس الكتابية الإبداعية والشعرية كالرواية والقصة والأقصوصة وقصيدة النثر والنثيرة والهايكو ويتحدث عنها كالذي يتحدث عن مجازر هتلر ومحاكم التفتيش!!

إنه وأمثاله من السلفيين المحنّطين يذكرني بمعركة قصيدة التفعيلة إبان ظهورها وكيف اتهموها وأصدروا حكم الإعدام ضدها وتعالت الأصوات في المجلات والمجالس والكتب .. لكن – ويا للسخرية! – لم تلبث أن هبت رياح التغيير فاكتسحت آراءهم وكنست بقاياهم إلى منحدر سحيق.

وهؤلاء ومن على شاكلتهم .. لا يفرقون بين اللغة والأدب .. بين العلم والفن. إن اللغة تاريخ وثوابت لا مناص منها ولا بديل عنها .. لا تزال المفضليات والأصمعيات والمعلقات والأغاني والأخبار والسير تحتل في قلوبنا المحل السامي والمقام الرفيع .. نكحل أعيننا منها بين حين لآخر .. لنكتسب من اللغة القدرة على التعبير عن حاجياتنا ورغائبنا بدقة وإصابة.

أما الأدب فهو روح العصر وملكة التعبير الراقي عن هموم الإنسان وما يدور في مجتمع الإنسان من أحداث، والانتصار للضعيف والانتصاف للمظلوم والاصطفاف في خندق للدفاع عن الأوطان .. بطريقة فنية نابعة منه، وأسلوب جميل متأصل فيه .. لا كأدب العصور الوسطى الذي كلف بالسجع البارد والتراكيب الجاهزة والمعاني المكررة والصور الساذجة المباشرة لا إيحاء فيها ولا تشويق .. خيال زينة ونثر زينة وشعر زينة .. ليس ثمة نفحة من عبقرية ولا مسحة من جنون ولا صرخة ألم باسم الحرية والنهضة.

إلى كم سيظل الأدب العربيُّ يستهوينا بروائع ما خلَّدتْ اللغةُ على صفحاتها من بليغ الحكم ومأثور الشعر؟ تعيش في خيالاتنا.. وتستوطن أفئدتنا.. وتمشي معنا إلى الأمام؟

هذا أبو الطيب المتنبي قد اصطفته العربيّة لها؛ فاقتحمت به عوالم فسيحة من الجمال.. ومجاهل من عوالم الشعور وتجارب الحياة.. وكأنها تمتحن نفسها فيه! فوقفت به على أسرارها.. وتعرّفت من خلاله على إمكانياتها وقدراتها.. فكأنه المرآة المجلوة بين يديها.. تنظر وتتحسس وجهها وتتبين ملامحها وقسماتها.

وكأن العالميَّةَ قد بسطت له ما ادّخرته .. فأخذ ينتقي الأشجى وجدًا.. والأعمق فكرة.. والأرقى ذوقًا.. والأخلد ذِكرًا!

أتعجَّب!

لماذا في كل موقف مؤثرٍ يمر بنا.. يتطلب كلامًا أو تعبيرًا فنيًّا.. فنتلمّس المعنى الذي يؤدي الغرض.. فنجد المتنبي قد سبق إلى المعنى المراد.. كأنه قد عاش تجارب البشر؟

لله شوقي وهو يباهي بشعراء العربية وعلى رأسهم المتنبي في معركة الريادة العالمية التي يزعمها الغرب لنفسه مدعيا الكمال .. يشمخ زاهيًا معتدًّا شأن من خاض فنون القول فحذقها على اختلاف أفانينها وألوانها.. كأنه يقول: والله لو جمعتم شعرائكم الأولين والآخرين ما بلغتم معشار ما قالته العرب في أشعارها.. ولولا سياسة المحتل.. لكان ديوان الشعر العربي كله يقف على القمة من الشعر العالميّ.

سـائِل بنـي عصـرِكَ هَـل مِنهُـم
مَـن لَبِـسَ الإِكليـلَ بَعـدَ الكَليـلْ

وأَيُّهُـم كالمُتَنَبّـي امـرُؤٌ
صَـوّاغُ أَمثـالٍ عزيـزُ المَثيـلْ

وَاللهَ مـا موسـى وَلَيـلاتُهُ
وَمـا لِمَرتيـن وَلا جيرزيـلْ

أَحَـــقُّ بالشِعـــرِ وَلا بِالهَـــوى
مِــن قَــيس المَجنــونِ أَو مِــن جَميــلْ

قَـــد صَـــوَّرا الحُـــبَّ وَأَحـــداثَهُ
في القَلــبِ مِــن مُستَصــغَر أَو جَليــلْ

تَصويــرَ مَــن تَبَقّــى وَمَــن شِــعرُه
فــي كُــلِّ دَهــرٍ وَعَــلى كُــلِّ جيــلْ

إن أعلى طبقات اللغة هي تلك التي تأتي من وراء النفس لا من وراء اللسان. أليس كذلك؟

ولذلك أخذ المازني على المنفلوطي أسلوبه في الكتابة النمطية وسخر منه أشد السخرية. وأخذ العقاد على شوقي تقليده للأقدمين واهتمامه بالصياغة والشكل على حساب المضمون.

لا أسلوب الجاحظ يناسب عصرنا ولا طريقة الفرزدق في صياغة العبارات تصلح لأذواقنا.

قال أحد العروضيين في نقاش – منتصرا للعمودي –: ليس غير العمودي الذي ألفه العرب الأقحاح، وأما حصل في الأندلس من تغيير في أشكال

الشعر وظهور أجناس جديدة منه كالموشحات والمخمّسات وغيرها ليست إلا نارًا صغيرة وظاهرة ناشزة .. سرعان ما انطفئت! ولكم أن تضعوا أياديكم على رؤوسكم حين تعلمون أن هذا العروضي دكتور في الجامعة!

ألم يعلم هذا العروضي أن تلك الأشكال الشعرية التي ظهرت كانت نتيجة تغير في عقول الناس وانتقالها من البداوة إلى الحضارة ومن الجهل إلى العلم؟

كانت قرطبة مدينة العلم والعلماء والأدباء .. تجلت فيها روعة العمارة ووفرة المكتبات .. بل أعظم مكتبات العالم .. فيها ترجم العلماء فلسفة اليونان وأنقذوها من الضياع ولا تزال أوروبا إلى اليوم تذكر ذلك لا بن رشد. الفقيه المجدد.

الأندلس كانت قبلة الجمال والموسيقى .. الحدائق الهندسية والنوافير الراقصة والورود والطيور .. فردوس أرضي مسح على القلوب برفق فإذا مناشط الحياة الثقافية والمعرفية والأدبية تزهر وتضيء.

لقد تقدم المجتمع .. فتقدم التفكير الإبداعي فأنتج تلك الأشكال الشعرية والمعارف الإنسانية التي لا تزال آثارها وزخارفها ونقوشها إلى اليوم.

وحين ضاعت الأندلس .. ضاع الناس وانطفأت في عقولهم سرج الإبداع .. فلم يكن لهم في المستقبل مكان .. فرجعوا القهقرى .. لكنهم لم يفلحوا بأن

يصلوا إلى مستوى العصور الذهبية في الشعر لاختلاف الزمان ورقة اللغة .. فقرقعوا لنا شعر المعارضات والمناسبات وشعر المساجلات لاستعراض القدرات اللغوية والنظمية. أرأيتم؟

ليس الأدب وطريقته وأسلوبه إلا استجابة طبيعية للعصر الذي يعيش فيه الشاعر أو الأديب .. فلا يوجد مفهوم للشعر أو للرواية أو للقصة أو للمسرح ثابت لا يتغير.

إذا كان أبو عمرو بن العلاء يقول: "اللسان الذي نزل به القرآن وتكلمت به العرب على عهد النبي ﷺ عربية أخرى غير كلامنا هذا"

وأبو عمرو بن العلاء كان ناقدا حافظا للقرآن .. لغويًا وهو من التيار السلفي المعتز بالقديم وكان من الذين وقفوا ضد تجربة أبي تمام الحداثية.

مما لا يدع مجالا للشك .. أن اللغة كائن حي كما يقول الأدباء .. تتغير مفاهيمها وطرائق تفكيرها حسب ظروفها الثقافية والحضارية. إننا بحاجة لأن ندفن وجوهنا في أدب الغرب .. فلسفة ونظريات جمال ونقد كما فعل رواد النهضة العربية الطهطاوي وأحمد أمين وطه حسين والعقاد والرافعي وزكي مبارك والزيات وعلي الطنطاوي وغيرهم وغيرهم .. مما ذكروه هم أنفسهم في كتبهم .. من ضرورة الاطلاع على الآداب الحديثة لا من أجل

استنساخ التجارب وتقليد الرسوم .. بل من باب التلاقح الفكري أو التناص الثقافي. لقد قرأ سيد قطب رحمة الله عليه ألف رواية إنجليزية.

وذكر علي الطنطاوي أنه أغرق نفسه في قراءة الروايات الفرنسية لشدة شغفه وشغف كتاب العصر بالثورة الفرنسية.

وحتى المنفلوطي التقليدي الذي كان لا يملك لغة .. استعان بأحد أصدقائه فترجم له رواية في سبيل التاج فكتبها المنفلوطي بأسلوبه فلمعت وبرقت في سماء الجمال.

وقد اقترح علي الطنطاوي رحمة الله عليه على الناشئ في الأدب .. أن لا ينتقل مباشرة إلى القراءة في كتب التراث العربي القديم .. بل اقترح أن يبدأ بقراءة أدباء عصره .. ثم ينتقل بالتدريج إلى القديم. وهذا بحق لينم عن فهم عميق لطبيعة اللغة والنفوس وفقه التربية.

إن المعاصرة مسؤولية ليست بالأمر السهل .. رغم أهميتها وضرورتها .. وهي لا تعني بالضرورة القطيعة مع التراث .. إذا كان أدونيس له أيديولوجيا معينة فرأى في تراثنا العربي والإسلامي عائقا أمام العصرنة وتطور الإنسان العربي.. فهو وشأنه لا علاقة لنا به.

إن الفضيلة وسط بين رذيلتين. ويشرح طه حسين هذه المقولة الأرسطية فيقول: تأتي إحداهما من التقصير وتأتي الأخرى من الإفراط. إذن لا ينبغي أن نشتط على القديم فنحاكمه بمقياس الفلسفة ومعايير التطور اليوم، ولا أن ندعي في القديم العصمة كما لا ينبغي أن نسلم بكل نظريات العصر وتوجهاته تسليم المريض للطبيب ولا أن نلبس التقديمة والحداثة لبوس الشبهة والمعصية والكفريات.

إنني سلفي في أعماقي .. ومحافظ .. لكني أعشق الفنون والجمال وأعزف الموسيقى أجاهد أن أكتب وأعبر عما يحز في نفسي مما أراه ولا أملك تغييره. علَّ أبناءنا .. على أقل تقدير.. يعملون لأبنائهم في المستقبل .

ولكم تمنيت كما قال طه حسين في كتاب "خصوم ونقد" أن أسكب كل كتاب أقرؤه في قلوب القراء وعقولهم.

ليست حقولنا الأدبية وحدها بحاجة إلى أن تلتذع بنار المعاصرة .. بل إن ذواتنا أولى بذلك، فما نتاج المعرفة إلا الفكر بعاداته وأخلاطه وانتماءه .. كي نفهم عن هذه التكنلوجيا طبيعتها وثقافتها ولغتها .. أن نخرج من دائرة اهتماماتنا .. فنقرأ في مجالات أخرى. بل لقد كان سلفنا العظيم من الأدباء كالجاحظ وابن المقفع وغيرهم من يتكلم بأكثر من لغة .. بل لقد تعلموا اليونانية وترجموا عن فارس والهند والإغريق فنظموا ما نجم عن ذلك في

أسلاك مؤلفاتهم فإذا هي مبوّبة .. مفهرسة .. مرتبة .. وأضحى أثر تلك القراءات المعاصرة واضحا وجليا في طرائق عاداتهم في تناول المعاني والأفكار.. فنتجت أسطورة الأدب الرفيع.

لقد امتلكت بعض الدول العربية تكنلوجيا التعليم. فأين هي آثاره وثماره؟

ولو كشف الله عن أعماقهم الحجب لرأينا حبالًا ورمالًا ولسمعنا نباح كلاب وضباع! أما عنا نحن .. فليس إلا الرغبة بالانتقام وهدر دم البشر.

"لبسنا قشرة الحضارة .. والروح جاهلية" نزار قباني.

ماليزيا

2020/8/9

الشاعر

الجمال روح مشاع في الطبيعة والكون والكائنات؛ والإحساس به والتفاعل معه فطرة في النفس؛ تشرق الشمس فترسل أشعتها الذهبية؛ فتغمر الإنسان بالنشوة والحركة. وتغربُ.. فيقبل المساءُ .. فتترنح تحت أضواء القمر بواخرُ العائدين إلى الأوطان. والفن الذي يسكن الذات الشاعرة هو وحده الوسيط الذي يكشف لنا عن قدرة جمال الكلمة في شد الانتباه، والإحساس بالمتعة.

إن في أعماق الإنسان أصواتٌ تستشرف في لحظات من صفاء الذهن؛ أصواتِ الطبيعة والكون.. بواسطة تلك الأجهزة اللاقطة التي أودعها الله في النفس.

الموسيقى الخلاقة .. رذاذاتها الحلوة.. ملائكتها الحالمة .. السبيل إلى الحب والسلام.

كأن هاتفًا:

"أنت ضالَّتي ...

أنت حسبي ...

لقد رأيتني ورأيت اسمي...

فأنا الغالب"

إنها حركة وليدة في عالم الشعور تعبّر ربّما عن مدى الإحساس بالحاجة الماسة إلى التغنّي بالألم واللذة. تستكين خاضعة تحت سلطان اللحظة الشاعرة. الرغبة بالمناجاة الرفيعة. أو أنه حنين لشيء ما.. حنين في لحظة لا يُدرك كنهه .. حنين كأنه قطع من السحاب تطفو فوق جزيرة نائيةٍ .. نائية!

حنين قاتل لكنه شهيّ..

حنين كالضوء تراه في متناول يدك .. لكنك لا تقدر على القبض عليه.

حنين واضحٌ واضحٌ.. لدرجة الغموض!

والشاعر الذي يجيش في صدره ما يستقبله من الكون؛ فيستجيب حتى الانصهار.. ويسمح حتى الذوبان.. وراء جدران العزلة والوحدة والغياب.. تَجَلٍّ ولقاء .. ووصال على ظمأ!

وكما يتشقق النبع من الصخر.. وكما تتشقق الفراشة من اليرقة.. يكون كله أكثر ابتهاجا بالموسيقى .. أكثر وهجًا .. أكثر عشقا للإنسانية.. أكثر كرهًا للحرب.. أكثر قربا من الله.

تلك الصور الفنية التي ابتكرها من نيران معاناته.. والأنهار التي نظمها من دموع قلبه.. والأشعة التي أجدها من سهده وقهوته .. لا تلبث أن تضيع في الزحام .. ويضيع معها الطريق إليه. ربما استطاع الشاعر أن يخاطب الأحلام والرؤى المكنونة في ضمائر الناس وأن يوقظها من سباتها وأن ينفخ في روحها الحياة، فإذا هي صور حية تتكلم وتتنفس وتشعر.

لكن.. من يقدر على إنقاذه من هذا العالم المقفر من الإنسانية .. من المادية الطاغية.. من الأنانية الفاحشة؟

من يستطيع أن يزيل شبح المجاعة التي اجتاحت أطفال اليمن عن ناظريه؟

كأن هاتفًا:

إذا تحرّرتَ من اليُتمِ وانهزمتَ لغير الفن.. "فقد انفصلت عنّي"!

العبارات بين علامتي التنصيص للنِّفَّري.

23 فبراير 2022

الجُرهميُّ الأخير في بلاد العجم

ماذا نحدّث عن وضعنا ككتَّاب وشعراء في ماليزيا؟ نحن هنا والحمد لله على كل حال محرومون من أجمل الأشياء! دعوكم من الضجيج؛ ضجيج الأفكار في عقل المبدع؛ وضجيج الاحتفالات الصينية والهندوسية وضجيج البيت والأولاد؛ ضجيج يفتُّ في عضد الكلمة ويعصف بأمزجتها؛ فدعوكم من كل هذا؛ فإنه يمكن أن نخاتله بسماعة رأس والضغط على: Relaxing Jazz Music مع قليل من تقبيل رؤوس الأولاد بغية الهدوء .. يكمن أن نستمر في الكتابة. لكني أقصد التواصل الإبداعي ومراقبة التطور الذي وصل الكتاب بنا إليه. أجل؛ فلا تحسبوا الشعر وسائر الفنون والمعارف حروفا وعلامات ترقيم وعناوين فصول فقط! بل هي كائنات حية تنمو وترجو أن تحقق ذاتها في عشَّاق المعرفة. الفن يريد أن يقول شيئا؛ وكذلك الشعر؛ ولكن يريد أن يقول من خلالك أنت! إن المعرفةَ أشبه بالبستانيِّ الذي يشهد تكوين أشجاره منذ البذرة الأولى؛ وهو يرميها في شقّ التُّربة؛ وهي تغدو مع الأيام باسقة وارفة الظلال؛ فترتسم على شفاهه ابتسامة أمل.

نكتب منشورًا أو قصيدة في الصباح؛ فيطّلع الأحبّاءُ عليها في المساء!

تقام في مصر وفي الخليج أروع اللقاءات الشعرية والأدبية عصرا؛ ويكون الوقت عندنا منتصف الليل! فضلًا عن دورات التعليق الصوتي وتنمية المهارات ومحاضرات في القراءة السريعة وندوات فكرية ودينية .. حياة تتوهج عبر الزُّوم بالحيوية ونحن في ماليزيا خارج التقويم!

تعرفون أنتم تلك " النُّكتة" الشهيرة التي دارت مجازًا على لسان الحيوانات؛ تقول: أنه كان هناك حمار أصمّ ودعيَ الحيوانات مرة إلى وليمة في بيت الأسد؛ قال الحمار لصديقه القرد: أخاف الإحراج! قال له القرد: أنا معك؛ متى قيلت في المجلس نكتة؛ سأدقُّك بكتفي فتضحك؛ وهكذا لن يشعر أحد بأنك أصمّ؛ وفي المجلس تحدّث وضحك الجميع ونسي القرد؛ وعند المساء نهض الجميع للانصراف؛ فَدقَّتْ كتفُ القرد بالخطأ الحمار؛ فضحك الحمار ضحكة مدوّيَة وسط ذهول واستغراب! ما المضحك؟ ولماذا ضحك الحمار؟!

ماذا نفعل وهذا حالنا في ماليزيا؟ أدري أن "ملقوفًا" سيقول: عليك باليمن!

وألفُ آهٍ يا يمن؛ يا قطعة من الشوق، يا نفحة علوية من نفحات العبقرية. الحوثيَّة الملعونة لم تترك لليمن حالها! لقد تضاعف الحمل على اليمن؛ فمن

جهةٍ حوثيَّةُ الخراب، ومن جهةٍ الذُّباب الإلكترونيّ الذي يتعمّد الأماكن النظيفة من التاريخ الحضاري.. من الهويّة اليمنيّة؛ فيسقط عليها تلويثًا وتجريفًا، ومن جهةٍ البطالة المنتشرة التي تحاول أن تُجهض آمال كل طموح، ومن جهة.. ومن جهةٍ.. مشاكل عويصة ومعقَّدة لا تنتهي. فما الحلّ؟ الحل هو أن " تدعمم، وتتقرّص العافية" ليس عليك أن تشتم ولا تتذمّر!

ما أشبه حالنا كمبدعين بقول القاضي الجرجاني رحمة الله عليه:

أأشْقى بهِ غرسًا وأجْنيهِ ذِلَّةً؟ .. إذنْ فاتِّباعُ الجهل قد كان أحْزما

يقول لسان حاله:

أينفذ عمر المبدع في المطالعات وزيارة المكتبات وشراء الدّواوين الشعرية والرّوايات والقصص وغيرها ثم لما يدنو وقت الحصاد؛ وتكاد الثمار من التنضُّجِ أن تقول: خذوني؛ نترك كل شيءٍ على حاله، ونظلُّ ندور في مفحص قطاة؛ كجمل السّاقية؟!! متى نخرج للعالم يا عالم؟

مرَّة قال لي صديق عزيز: لقد كنت في السعودية فلم لم تجرّب التّجارة؟ شعرت بغصَّة في حلقي! فإن لكلِّ حرفةٍ رجالها ومن يدخل بحرا غير مدرك لأسراره أكلته هواميرها الكبيرة! ألم يقل ذلك زعيم حزب " الوزف " عمار الزريقي؟!

لقد كانت القراءة شغلي الشاغل وحرفتي منذ الصغر؛ رغم طيشي وعواصف جنوني! كنت في الصف الخامس الابتدائي؛ يذهب بي أبي إلى الحرم المكّيّ قبيل العصر؛ فما إن ينصرف أبي من باب حتى أهرب من باب آخر إلى بيت عبدالمطّلب! البيت الذي ولد فيه معلم البشرية وعلم الثقافة والرّقيّ الأدبي والفكريّ محمد عليه الصلاة والسلام. ذلك البيت قامت فيه مكتبة كبيرة من ثلاثة طوابق إن لم تخنّي الذاكرة؛ لقد كانت منتجعي وملعبي أذكر – يعلم الله– أول كتاب انفتحت له نفسي من بين تلك الرفوف الكثيرة والضخمة؛ المجلد الأول من شعر البحتري؛ شاعر الطَّيْف. فكنت أنتحي جانبا على طاولة وأقرأ ما أفهم وما لا يفهم. حين قال لي صديقي ذلك تذكرت على التوّ مسرحية "العيال كبرت" تذكرت موقفا لسعيد صالح رحمه الله حين انتقد تصرّف أبيه في سهراته مع فتاة أصغر منه سنًّا وقد كان عازمًا على الزواج بها؛ قال: "الصعلكة والصّياعة أخذتها وأنا صغير، بس انا اليوم كبرت، لو جيت اليوم أصيع، مش حعْرف" نعم لقد كبر على الصياعة؛ وأنا قوَّست الكتب ظهري؛ فلا أعرف غيرها صياعة!

أول مرة أتذمّر على صفحتي بعد مرور أربع سنوات لي في ماليزيا! أربع سنوات من الصبر لأول مرة يبدو أني فقدت المقاومة وبدأت أشيخ! مع علمي أنه لن يقرأ لي أحد؛ لأنه ببساطة لا يعرفني أحد! وهل يقرأ الناس لشخص لا يعرفه أيّ أحد؟!

لا بد لنا من الاعتراف في هذا الركن من المقهى الصغير؛ أننا كشعوب وراء التاريخ من التخلّف لدينا عقيدة يعلم الله وحده من غرسها في خيالاتنا وأعصابنا؛ وهي أن الفنون والآداب والحياة الثقافية هامش في آخر الأولويات والاهتمامات؛ وشيء يمكن أن يقال عنه أنه زائد عن الدنيا! هذه الشعوب القاسية التي تمر عليها الدهور وهي تتوارث هذا العمى جيلا بعد جيل، وكابرًا عن كابر لم تكن عليها أن تعيش! وهل هي شعوب حية أصلا؟ تظل عمرها تتسوّل أبسط حقوقها المدنية من أبواب السلاطين. كالمواشي في يد الجزّار. رضيت العيش على الحظوظ والمفاجآت. فمن أين لك أن تحدّث هؤلاء عن أهمّية الفعاليات الأدبية أو غيرها أو الجلسة لقراءة كتاب أو مناقشته وتحليله أو أن تحدثهم عن المسرح ودوره في الوعي؛ والسينما وغيرها من أين لك؟

يا للحظوظ التعيسة!

في ماليزيا عيني على كل فعالية ثقافية أو وطنية. كل فعالية أقزم من أختها؛ ليس لها قاع ولا سقف تلمع كأزهار الزَّيزفون لكنها بلا رائحة؛ للديكور والزينة فقط! كل فعالية هنا تغير كالضُّرَّةِ من الفعالية الأخرى! تماما كرجل متزوج بأكثر من امرأة. لخّص تلك الأزمة النفسية شاعر عربي لا يحضرني اسمه الآن:

رِضا هذي يُهَيّجُ سُخطَ هذي

فما أعرى مِنِ احدى السُّخْطتينِ!

سأقولها بالعامّيّة " والله أن اليمن غير طبيعية"! أنا أقولها وأنتم تعلمون ذلك علم اليقين؛ أن على الرغم من أن اليمن يقبع في ليل طويل من الحرب والقصف والدمار؛ إلَّا أنه يصدمك فيه الكمُّ الهائلُ من الفعاليات في مختلف محافظاته! ما هذا الجنون؟ معرض الفنون التشكيلية في تعز يقيم احتفالا ... نادي القصة في محافظة كذا يقيم جلسة ... المنتدى الفكري في محافظة... يقيم ندوة ... الشاعر الفلاني من محافظ ..... أصدر ديوانا شعريا جديدا .... الرّوائي الفلاني من محافظ .... حصل على جائزة!

إلا في ماليزيا! أموات غير أحياء! كأننا داخل متحف للمومياء! غَيْرةٌ وحسد؟ أم أن الناس لا يقرؤون؟ أم أن الهمَّ السّياسي انتصر على ما في الإنسان من مسحات جمال وملكات غواية وسحر؟ لا أدري.

لذا قرَّرتُ أن أعيش عَزَبًا من الفعاليات كما قال صاحب قصيدة الزوجتين:

فعشْ عزَبًا فإن لم تستطعهُ .. فضربًا في عِراضِ الجحفلينِ

لكني حتى لا أغمط حق أحد؛ وللأمانة دعاني مرة أخي الأستاذ/ مالك الفرح لأمسية شعرية لطيفة تنفستُ فيها الصعداء " وأهلا وسهلًا. شرَّفتنا.

منذ كم وأنت هنا في ماليزيا؟ هل تحتاج شيئا؟ متى تكرّمنا بأمسية شعرية أخرى؟ ما رأيك بجلسة على " الزُّوم" لمراجعة دروس النحو وعرض بعض التجارب الشعرية الشَّابَّة؟ " شعرت أني انعتقت من قمقم! إي والله! ولايزال التواصل حتى اللحظة وأنا أتهرّب تهرّبًا مؤقتا حتى أفرغ من كتابة الرّسالة. الرسالة التي أشعر معها بالضيق والنَّكد! من الصعوبة على مزاج الشاعر أن ينضبط في بحث مقيّد ومحدّد لا يحيد عنه قيد أنملة! ولن أكون منصفًا أبدًا إن لم أعرّج بالثناء على مركز يمنيون؛ لكني قد ذكرتُ ذلك على صفحتي لأكثر من مرة.

قلت لصديق عزيز جدا: ألا يوجد في ماليزيا أساتذة جامعات في اللغة العربية؛ يهتمون بمستقبل اللغة العربية ويتابعون المشهد الأدبي العربي واليمني؟ فقال لي: يوجد قليلو أدب فقط!

يا الله ما هذه الحالة؟ إنه أشبه بالنظر في عين الموت مباشرة لكنك لا تموت!

طبعت ديواني الأخير: الجُرهميُّ الأخير؛ رمضان الفائت؛ طبعته بعد شقّ الأنفس؛ الله يعلم وحده كم نزفت عيني حدّ الجفاف .. كنت من شدة حرقتهما لا أقدر على النوم؛ إلى المعاناة من فقرات رقبتي.. إلى سلسلة طويلة من المعاناة آخرها دار النشر! لقد جن جنوني وأنا أبحث عن دار

نشر؛ دار نشر في ماليزيا؟ أأهطل أنت؟ ماليزيا ليست لشيءٍ من هذا القبيل؛ لا معارض كتب لا دور نشر عربية! ثم .. إني وجدت دار نشر عربية لا أريد أن أبوح باسمها لأنها لا تهم أحدًا. الأصل أن تسمّى قرطاسية! ماذا أحدّث عن رداءة الورق؟ وعن ألوان الورق التي لا تناسب روحانية الشعر؟ سيطول الوقت في الشرح. ليس مهمًّا على الإطلاق؛ وهل هناك من يهتمّ أصلًا؟ اتصلوا عليّ وأبلغوني أن "الجُرهميُّ الأخير" قد طُبع! شعرت عندها أنني كنت مدفونا في أعماق البحر، فامتدت يد بيضاء فأخرجتني إلى الحياة! آه لو تعلمون كم تتسبَّبُ تراكم الملفّات على سطح المكتب، وعلى الإيميل–خشية الضياع كما حدث لي من قبل– من حالات قلق وفوضى!

انطلقت إلى العاصمة كوالا حيثُ دار النشر؛ انطلقت كسهم من ضوءٍ لا أشعر بالدنيا! كنت أسمع زوجتي تكبّر من الخوف؛ فعلمت عندها أن قد "صفّيت الطّبلون" من السرعة! أول ما وقع الديوان بين يديّ احتضنته كطفل ضلَّ عاد إلى أمّه! رغم الغصّة التي وقفت بحلقي لما رأيت رداءة الورق! إلا أنني لم أسمح لأي مشاعر سلبية تنغص عليّ فرحتي .. فرحتي بمولودي الخامس. احتفلت أنا وزوجتي وانتصرنا وأطلقنا البوالين. كم كنت أتمنى أن تشاركني اليمن الفرحة! أن تحتضنني كشاعر من أبنائها البررة. المبعدين عنها قسرا وقهرا. لكن؛ لا أحد؛ لا أحد شاركني الفرحة من اليمن ولا أي جزء منها؛ لا المتن ولا الهامش شاركني فرحتي! ليس غير الإهمال

والتطنيش والانتحار المعنويّ! لله يا محسنون حفل توقيع.. حفل إشهار يا محسنون! سأهديكم نسخًا من ديواني بالمجّان! كلمة شكرٍ ستكفيني.. يمكن أن تساعد في انتعاش روحي انتعاشة الكهرباء في جسد المريض! لا أحد! مسحت خفيةً عن زوجتي وأبنائي دموعيَ بيديَّ؛ لما علمت أن تلك الفعاليات الثقافية والوطنية في ماليزيا إنما يدعى إليها الأغنياء ويمنع عنها الفقراء!

مرايا الروح

الجمال فطرة في النفس .. والفن الوسيط الذي يكشف لنا عن قدرة الفنان في تغيير المفاهيم والإحساس بالمتعة.

إن في أعماقك أصوات تستشرف في لحظات من صفاء الذهن التي تنفتح لها أبواب السماء أحيانًا صوت الكون .. فترهف سمعك جيدًا.

كأن أجهزة الاستقبال والاستشعار قد بدأت في الحركة والعمل.

لكنها حركة في عالم الشعور تعبّر ربّما عن مدى الإحساس بالحاجة الماسة إلى نفحة من نفحات الخيال الشعري.

إنه حنين غامض نوعا ما!

إن الله سبحانه هو المصوّر. خلق الكائنات على هيئة صور تدل على الطريق إليه. كما خلق الملكات الجمالية والذكاءات اللغوية التي يستطيع من خلالها الإنسان أن يتواصل مع العالم.

والشاعر الذي تجيش في صدره الأفكار والمشاعر فيقوم بتنظيمها من خلال الإيقاع ومن خلال الهيكل الفني من الصور والأخيلة التي ستبدو عليه.

إن الأقاويل الشعرية من تشبيه ومجاز واستعارة تترك أثرًا في نفس المتلقي كما يقول أرسطو: تُحدث لذاذةً عقلية واهتزازا طربيا في النفس بصورة تلقائية.

ربما استطاع الشاعر أن يخاطب الأحلام والرؤى المكنونة في ضمائر الناس وأن يوقظها من سباتها وأن ينفخ في روحها الحياة، فإذا هي صور حية تتكلم وتتنفس وتشعر. وكأن الشاعر يلقي تعويذة على مسامع القارئ وأحاسيسه، فإذا الدهشة تعقد لسانه برهة فلا يقدر على الكلام! حتى إذا كدّ القارئ ذهنه في النص لاستنباط معانيه المغلفة بالإيحاء والغموض، ثم أخذ النص الشعري يكشف عن أسراره وجواهره، تفتّحت أسارير القارئ فأبدا إعجابه وثناءه.

ولعل هنا مكمن قوة الشعر وطاقته وقدرته السحرية .. في أنه يعتمد الإيحاء لا المباشرة.

لكن القرآن الكريم في تصويراته وإشاراته البلاغية واللغوية له قدرة خلاقة .. فريدة في شد انتباه القوى النفسية دون اللجوء إلى شطحات الخيال بل يعتمد على ما في اللغة ذاتها من جمال خلاق مبتكر.

لقد دهش القرآن الكريم العرب أهل البيان والشعر وحاروا في أمره وما دروا أين مكمن السحر والقوة فيه! فهو فيه من خصائص الشعر وليس بشعر وفيه من خصائص النثر وليس بنثر. إنه نظم فريد معجز.

ويرجع السيوطي في كتابه الإتقان معلّلًا سر تدفق العبارة القرآنية ونسق آياتها العجيبة في ما أسماه: بالانسجام. والانسجام في البلاغة العربية هو خلو الكلام من العقادة متحدّرًا كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة، والقرآن كله كذلك. قال أهل البديع: وإذا قوي الانسجام في النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه، ومن ذلك ما وقع في القرآن موزونًا، فمنه من بحر الطويل: (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ومن بحر المديد: (واصنع الفلك بأعيننا) ومن بحر البسيط: (فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم) ومن الوافر: (ويخزهم وينصركم عليهم. ويشف صدور قوم مؤمنين) ومن بحر الكامل: (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم). ومن الهزج: (فالقوة على وجه أبي يأت بصيرًا). ومن الرجز: (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلًا). ومن الرمل: (وجفان كالجواب وقدور راسيات). ومن السريع: (أو كالذي مر على قرية) إلى آخر ما قال.

إن القرآن الكريم طراز خاصٌ من التعبير. وهو إلى كونه كتاب هداية وإصلاح للإنسان والمجتمعات هو أيضا كتاب جمال يملأ النفس روعة

ويستحوذ على ملكات الخيال فيصقل مرآتها برفق ويعيدها إلى سابق عهدها من النصاعة والبهاء.

(أو كظلمات في بحر لجّيٍّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب. ظلمات بعضها فوق بعض. إذا أخرج يده لم يكد يراها. ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور).

إن الصورة البيانية في هذه الآية مثال دقيق يصور حالة الإنسان الداخلية من حيرة وتخبط وعمى.

يتخذ القرآن لإبراز هذه الفكرة الغائبة والتي لا تدركها الحواس صورة حسية حية متحركة مشاهدة للعيان فكأن الإنسان في ظلمات نفسه وكآباته وأمزجته المتقلبة نتيجة انسرابه في الحياة واعتراكه الأحداث والصراعات وما ينجم عن ذلك من مواقف وردود أفعال .. تجعل العقل فاترًا خافت الضوء

.. فكأن الإنسان في ذلك يشبه البحر الذي تعتلج في أعماقه أمواج هائلة وظلمات بعضها فوق بعض. لا تكاد ترى العين فيها شيئا غير السواد المتوّار المضطرب.

لكن تلك السدف الحالكة، والأجواء الداكنة، سرعان ما تزول وتصفو بذكر الله عز وجل فإذا مرايا الروح صافية مشرقة.

إن الصوت البياني البلاغي المبدع في القرآن صوت هاد وراشد. نور فكرة الهداية على نور القالب الفني الجميل.

الأدب اليمني .. والسراب!!

كانت إحدى التغريدات للشاعر الكويتي دخيل خليفة حول ظلم الإعلام العربي للمشهد الأدبي في اليمن هو ما دفعني للكتابة.

لكن .. ما الذي دفع بالشاعر الكويتي لأن يترك لنا هذه التغريدة؟

إن هناك إحساسا بالتقصير تجاه هذا البلد العربي الأصيل.

ولكن لماذا قصّر الإعلام في تسليط الضوء على أدباء اليمن وشعرائه؟ هل كان هناك فقر في الموهبة أو ضعف في الأدوات الفنية أو تخلف عن ركب التفكير الإنساني الحضاري؟

لو رجعنا إلى بدايات تاريخ النهضة العربية الحديثة والتي أرّخها بعض الباحثين بعام 1805 – 1848م يوم استشعر محمد علي باشا خطر الحياة الثقافية الأوروبية ونهضتها العلمية والصناعية وأدرك أن المعرفة هي القوة الحقيقية فبدأ بإرسال البعثات إلى أوروبا. فأصبحت مصر من ثمّ مركزًا ثقافيا وأدبيا مؤثرًا في الوطن العربي ومساقاته التعليمية والأدبية والسياسية أيضًا.

نقف في تأريخ النهضة العربية عند هذا الحد ثم نعود لنلقي نظرة سريعة إلى الحياة الثقافية في اليمن لنجد أن الأدب في اليمن ما بين 1904 إلى 1948 كان يعيش أحلك عصور الظلام البشري حروب وصراعات داخلية كان الإنسان اليمني خلالها يتشبث بالقش من هامش الحياة لينجو من الموت!

هذا الكفاح المرير عزل اليمن لسنين طويلة عن العالم وحرم شعبه حظه من التعليم وإسهامه في عالم المعرفة. كان اليمن بريئًا من البعثات والمدارس حديثة والمطابع.

في كتابه رحلة في الأدب اليمني يعطينا البردوني صورة أكثر شمولية عن الحركة الأدبية في اليمن – وإن كان المقالح قد سبقه بذلك حسب ما أفاد المقالح بنفسه وهو يكتب مقدمة كتاب البردوني (رحلة في الأدب اليمني) يقول البردوني ما مفاده: "نعم لقد كان هناك قبل 48 أدب في اليمن ولكنه كان يتسم بطابعٍ فقهي لغوي يقال فيه الشعر في المناسبات والتعازي والمديح".

يعني يمكن أن نقول إن الشعر كان يجتر تجاربه من محيطه اللغوي ومن مخزونه من المحفوظات الشعرية.

لكن الأدب بعد ذلك أخذ مفهومًا جديدًا وهو مفهوم النضال السياسي. يقول الدكتور عبد العزيز المقالح في كتابه شعراء من اليمن:

"أعتقد أن أصوات الزبيري والموشكي والارياني والعزب كانت قد مهدت الطريق أمام جيل جديد من الشعراء وفتحت للشعر بابا تاريخيا جديدا يتجاوز معه الشاعر أسباب التخلف وتصبح الكلمة فيه وسيلة للتعبير عما يجيش في صدور الملايين، وسلاحا كفاحيا على طريق الثورة وتحقيق أحلام الجماهير في العدل والحرية والمساواة، ومن أهم مظاهر الانقلاب الذي حدث في الشعر بعد ظهور هؤلاء الشعراء محاولة الانفصال عن أشكال التعبير الموروثة وبروز أسماء جديدة " شعراء من اليمن ص21.

إذن لقد خرج الشعر على أيدي شعرائنا عن المفهوم القديم من أشكاله البالية الموروثة والتعابير المنتهية الصلاحية والقوالب التي تبعث على الملل وأصبح الشعر موقفًا وطنيًا كما يقرر المقالح بشاعريته الخلاقة وموهبته الأصيلة أيضًا.

بيد أن هذا الكلام الجميل ينصب في صالح الوعي الشعري اليمني والمعافاة مما اعتراه من أمراض وعلل. ربما وهو لايزال يتلمّس مواقع قدميه، ويكتشف ذاته لم يغري الإعلام العربي بالالتفات إليه والاهتمام به في حين كانت المجلات الأدبية الكبرى في مصر إبان تحرر اليمن من كهنوت الإمامة تشهد معارك أدبية شرسة بين أدباء كبار ما بين طه حسين والرافعي. سيد قطب وعلي الطنطاوي. محمود شاكر وطه حسين. العقاد والمازني مع أحمد شوقي. الزيات في كتابه دفاع عن البلاغة مع الوزراء والمتنفذين الذين اقتحموا عالم

الكتابة الأدبية. حلقات من نظريات الجمال وفلسفات اللغة والنقد والوجود والحياة والموسيقى معارك نقدية تحولت من بعدها إلى كتب ومراجع يقوم عليها الدرس الأدبي حتى اليوم.

يكتب المؤرخ والأديب علي الطنطاوي عن الحياة الأدبية في الشام يرجع تاريخ المقالة إلى الخمسينات من هذا القرن إن لم تخني الذاكرة ثم تنطلق الأقلام البليغة إثر تلك المقالة في الكتابة عن الحياة الأدبية في أوطانها كما أفاد الطنطاوي في إحدى ذكرياته، فإذا هناك مقالة بعنوان الحياة الأدبية في السودان. تليها مقالة بعنوان الحياة الأدبية في لبنان. ثم مقالة بعنوان الحياة الأدبية في مصر. ثم الحياة الأدبية في فلسطين. ثم الحياة الأدبية في الحجاز.

لكن .. لا توجد هناك مقالة بعنوان الحياة الأدبية في اليمن!

هل كان المثقف اليمني عاجزا عن أن يخوض غمار المعرفة ويسهم فيها أيّما إسهام؟

بالطبع لا. ولكنه وجد البون شاسعًا بين القمّة التي يتربع عليها العلم الحديث وبين هوّةِ الأميّة التي انحدر إليها الشعب اليمني المغلوب على أمره بحيث يصبح الحديث عن موسيقى بيتهوفن ويوهان باخ ومدارس النقد الغربية وفلسفة كانط وهيغل حديثا سخيفًا لا قيمة له. فآثر الأديب اليمني

أن يقترب من وعي شعبه أكثر وأن يتلصق بأدبياته أكثر. أقول هذا من عندي.

كانت هناك دراستان معاصرتان عن الحياة الأدبية في اليمن دراسة لعز الدين إسماعيل ودراسة لحاتم الصكر لكن .. أيكون ثمن ما عاناه اليمن في سبيل التحرر لقرون طويلة دراستين فقط؟

لا شك أن جامعاتنا اليمنية تضخ الكثير من الدراسات الجمالية المختلفة المواضيع المتعددة الاهتمامات لكنها —ويا للأسف– حبيسة الأدراج لا تفيد دارسًا ولا ترفد باحثا ولا تسهم في تنمية ذوق.

إني عن نفسي كباحث في مجال الصورة الشعرية كان من دواعي سروري أن أعثر على كتاب لباحث يمني يتحدث حول الموضوع. إن مجال الصورة الشعرية مجال خصب وهناك الآلاف من المقالات والدوريات والكتب تتدفق إلى مواقع الانترنت بصورة لا يمكن لها أن تتوقف. لكن الوضع النفسي يختلف عندما تقرأ لابن بلدك فإنك عندها تسمع أصوات وطنك وتاريخك في كل ورقة من الكتاب. ليس عصبية ولكنها فطرة في كل إنسان.

غير أني لم أجد إلا كتابا للدكتور عبد الواسع الحميري وهو كتاب رائع يحلل فيه مفهوم نظرية البلاغة العربية وينتصف للشعراء العرب ويأخذ على البلاغة العربية القديمة أنها بقوانينها النخبوية حرمت الشاعر من أن يرى ذاته

خارج السلطان وأن ينطلق من ذاته معبرا عن الوجود. وقد حصلت على الكتاب بعد تواصلي الشخصي معه فلا يفوتني شكره.

وكتابًا آخر للدكتور عبد الحميد الحسامي بعنوان التجديد في شعر الفضول لكن الكتاب ليس عن الصورة الفنية ومع ذلك فقد أفرد المبحث الثالث: بنية الصورة بالحديث عنها على هذا النحو:

أولا: الصورة التشكيلية.

ثانيا: الصورة المونتاجية.

ثالثا: الصورة العنقودية.

لم يكن يقتضي موضوع الكتاب أن يفصل أكثر عن الخيال وعن طبيعة الصورة وما تناوله القدماء والمحدثون حولها. فكان الحديث عن الصورة بهذا الشكل المقتضب.

مع كل الشكر والتقدير لأستاذنا الحسامي.

ورسالة ماجستير حول الصورة في الشعر العربي المعاصر في اليمن لأحمد قاسم علي أسحم جاءت الرسالة في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مصادر الصورة.

الفصل الثاني: أنماط الصورة.

الفصل الثالث: أساليب بناء الصورة.

لكني أعجب من التسمية لماذا أضاف كلمة: العربي في عنوان الرسالة؟! هل اليمن بحاجة إلى من يؤكّد لنا هويته العربية؟ لكن كون هذه الرسالة هي الوحيدة المتوفرة على الانترنت فهذه مبادرة بحد ذاتها تستحق كل التقدير.

لقد استطاع البردوني أن يكسر قيد المحلّية وأن يخرج بالشعر إلى خارج اليمن لكن الكثير لايزال لا يعرف من هو البردوني! بل وإن هناك الكثير من النقاد العرب لا يعرف من هو عبد العزيز المقالح! لكن .. هل قدم المقالح ما يغري الإنسان العربي بالاطلاع على كتبه؟ لقد لعب المقالح دورا كبيرا في تأريخ حركة الشعر اليمني المعاصر ولعب دورًا في نشر الوعي الحداثي وعرّف بالكثير من الشباب الشعراء على صفحات الجرائد وأشاد بتجاربهم. لكن ألا يدخل هذا كله في حديث البيت اليمني الواحد؟ إن جبران عندما تحدث عن موسيقى الشعر تفتحت له مسامع كل قصيدة عربية، والرافعي عندما تحدث في وحي القلم عن البلاغة العربية طارت إليه كل روح. والمنفلوطي عندما تحدث عن نشأة الذوق الأدبي حدقت إليه كل عين

مفتونة بالبيان العربي. وطه حسين عندما تحدث عن الأدب الجاهلي وعن كتابه مستقبل الثقافة في مصر وقف الوطن العربي كله على أقدامه!

وقد أشار البردوني في كتابه رحلة في الأدب اليمني إلى شيء من مثل هذه المقارنات سأنقله على طوله للفائدة:

"ويمكن أن اليمن سيكون قليل الحظ من الشعر الجيد في العصر العباسي الأول والثاني ذلك لأن اليمن ابتعد عن التيار الثقافي الفكري ذي الخطورة الاجتماعية والسياسية الذي فاضت به البصرة والكوفة وبغداد وقد أنشأ هذا التيار أدبا خطيرا صدم العادات وتحدى الاعتقاد وأي خطورة أشد من تفضيل إبليس على آدم عند بشار:

إبلـــيس أفضـــل مـــن أبـــيكم آدم

فتيقظـــوا ا يا معشـــر الأشـــرارِ

النـــــار عنصـــــره وآدم طينـــــة

والطـــين لا يســـمو سمـــوَّ النـــارِ

ثم التغني بالخمور والذكور بدلًا من الأطلال والظبيات عند أبي نواس:

لا تبـكِ هنـدًا ولا تطـرب إلى دعـدِ

واشرب على الورد من حمراء كالوَرْسِ

ولهذا أخملت هذه المدرسة (يقصد مدرسة التجديد في البصرة والكوفة وبغداد) من شعراء اليمن الكثير من أمثال محمد ابن إبّان اليماني وابن السليماني الأبناوي وغيرهما من كل الديار العربية مع أن ابن إبّان شاعر مطبوع إلا أنه ظهر في وقت تفلسف فيه الشعر وشعرت فيه الفلسفة وامتازت مدارس بشار وأبي تمام والمتنبي والمعري بالخصائص الفكرية والتجديدات الفنية عن فلسفة. وكيف يشتهر مثل هذا الشعر العنتري لابن إبّان:

وقـد علمـتْ عُليـا قضـاعةَ أنـني

جـريءٌ لـدى الكـرَّاتِ لا أتـورَّعُ

أخـوض برمحـي غمـرَ كـلِّ كتيبـةٍ

إذا الخيـل مـن وقـع القنـا تتسـكعُ

فكـم مـن كمـيٍّ قـد تنوَّلـتُ نفسـه
وآخـــر يـــدعو بالهـــوان ويضـــرعُ

كيف يشتهر هذا لابن إبّان في عهد:

خُلقــتُ علــى مــا فيَّ غــيرَ مخــيَّرٍ
هــوايَ ولــو خُــيِّرتُ كنــتُ المهــذَّبا

أريــد فــلا أعطــي وأُعطــى ولم أرد
وقصَّـــر علمـــي أن أنال المغيَّبـــا

وفي عهد منطقية أبي العتاهية:

ترجـو النجـاة ولم تسـلك مسـالكها؟
إن الســفينة لا تجــري علــى اليــبسِ

فإذا كان بشار يُعبِّر عن فكرة الاختيار والاضطرار، وإذا كان أبو العتاهية يرى صحة الوسائل إلى أصح الغايات، فماذا يعطي ابن إبان من فكر سوى الأفكار الشائعة؟! رحلة في الأدب اليمني صـ 37.

وهذا كلامٌ من البردوني بصيرٌ بالثقافة وأثر الحضارة على الشعر. والجميل أن هذا الكتاب متوفر على الانترنت (رحلة في الأدب اليمني) كما يتوفر كتاب آخر للشاعر الأديب أحمد الشامي (قصة الأدب في اليمن). ولكن لأن أحمد الشامي كان له موقفا سلبيا من ثورة 26 سبتمبر المجيدة لم أستطع قراءة الكتاب!

إذن لم يكن لدى أدبائنا وشعرائنا ضعفًا في الموهبة الفنية ولا تخلفًا عن ركب الفكر الإنساني الحضاري وإنما كان هناك نوع من الإحساس بالمسؤولية في دفع عجلة التعليم وقيامه على أسس صحيحة رافقه وضع اقتصادي منهار وحالة معيشية صعبة بسبب النظم الفاسدة، فاتجه الخطاب الأدبي بالتالي إلى الداخل.

وعلى كل حال فتاريخ النهضة الأدبية في اليمن أسبق من تاريخ النهضة في دول الخليج ففي عام 1971 شهدت المكتبات العربية الكثير من الإصدارات الأدبية المتنوعة في الشعر والرواية وغيرها كما أشار بذلك المقالح في كتابه شعراء من اليمن بينما كان تاريخ النهضة الأدبية في السعودية متأخرًا إلى أن أطل عام 1984 كما أشار بذلك الناقد السعودي عبد الله الغذامي في كتابه: الحداثة في الشعر السعودي. إلا أن تجربة الشعر الحداثي في المشهد الأدبي السعودي أكثر تميزا من حيث تحرره من عقدة الشكل الشعري ومؤسسته البلاغية التي تقف وراءه ودخل غمار الحداثة الكونية إن

صحت التسمية بينما في اليمن لا يزال شعر التفعيلة يشبه المواطن من الدرجة الثانية! فضلًا عن قصيدة النثر.

التعليم أساس كل نهضة معرفية وعلمية وأدبية فمن الطبيعي أن يكون المشهد الأدبي صورة عن الحالة الفكرية السائدة في المجتمع. أليس من حقنا أن نقرر أن المجتمع الأمّيّ الذي يرزح تحت أغلال التقليد الأعمى سيكون نتاجه الأدبي والفكري مرآة تعكس وجهه الحقيقي بلا زيادة ولا نقصان.

كانت الرغبة بالتغيير تواجه دوما بالقمع لكن رياح التغيير تنتظر الفرصة المناسبة لتهب من جديد أشد عرامة.

وعلى كل حال .. فالإعلام العربي والنقاد والأدباء العرب لا يمكن إعفاؤهم من هذا التجاهل فاليمن طبيعةً يمتاز بأروع ما في الطبيعة من جبال خضراء تعتمُّ بالسحاب ووديان زراعية نشوى بروائح البن والثمار، واليمنُ أدبًا يمتاز بخصائص تكسبه الفرادة.

أيكتب أديب كعلي الطنطاوي مثلًا عن جمال الطبيعة في أندونيسيا ولا يكتب عن اليمن؟

ولكن لماذا ننتظر من أديب عربي أن يكتب عن جمال الطبيعة الساحر في اليمن؟ السؤال إلى متى نظل وراء السراب كما قال نزار قباني؟

ماليزيا 8 / 2020

لكنَّها .. إرادة السُّلطان

إلى أن يصبحَ هذا الدَّمارُ وطنًا

وهذا الرّمادُ الحزينُ بشرًا

وهذه الكلابُ المحنَّطةُ طواويسًا

والصخورُ أنهارَ موسيقى أندلسيّة

سنقاوم الغزاةْ

سنزلزل الأرضَ من تحتِ الطغاةْ

في ذكراك .. نصنع الحياةْ

2020/8

لكنها .. إرادة السلطان !

منذ فترة طويلة .. وأنا أشعر برغبة في الكتابة حول التقليد والتجديد في الشعر. لكني كنت أرجئ ذلك للأيام القادمة حتى تختمر الفكرة وتنضج جيدًا. وهذا الشعور أصيل في كل نفس نابهة في المجتمع تقرأ الأحداث وتتابع التطورات وتعرف مكامن الخلل من حيث موقعها الذي هيئها الله لها وتعرف البدائل والحلول، ولا ترضى بهذا الخمود والارتهان العقلي والنفسي للماضي أو لأي أيديولوجيات تحت أي مسمى.

فالجمال والفن حركة مستمرة في الشعور لا تتوقف ولا تنفصل عن هموم الإنسان وتطلعاته

كما أنها في تجدد دائم وإنما المدارس الأدبية ومناهج النقد شروح وآراء تنجذب وتتصارع في محيط عصرها فيما بينها ثم لا تلبث أن يطل عصر وجيل جديد فيكنس تلك الآراء القديمة ويؤسس لمذاهب ومدارس جديدة.

تماما كما حدث في قضية خلق القرآن عند المعتزلة .. لقد عركت هذه القضية الناس وثار الغبار واستنزفت الكثير من الدماء .. وهي في الحقيقة

تحمل ورائها خلفية بلاغية مهمة عن قراءة النص الأدبي وتحليله: اللفظ أم المعنى؟ اللغة الشكل أم الفكرة المعنى؟ لأي منهما الغلبة؟ أين يكمن الإعجاز في القرآن؟ أفي لفظه أم في معناه؟ "إنما القرآن معنى لاتصاله بذات الخالق، وذات الخالق قديمة، فالقرآن ليس بقديم، لأنه خلاف ذاته تعالى" ومن هذا الكلام الذي يصدع الرؤوس حتى جاءت الصورة الفنية على يد عبد القاهر الجرجاني وحلت الإشكال بأن المزية في النص لكليهما.

وكما حدث لأبي تمام رائد مدرسة التجديد .. مدرسة الصنعة وموقف النقاد منه!

ففي كتابه / الشاعر العربي بين معاناة الإبداع وصعوبة التلقي للدكتور / وحيد صبحي كبّابة يقول: يعدّ أبو تمام رائد الحداثة في الشعر العربي والمتنبي متأثر بمذهبه فكلاهما قد تحصل على ثقافة واسعة اعتمد عليها في إبداعه"

وحين نتساءل: ما هي العوامل التي أثرت في شعر أبي تمام وجعلته ينتهج في الشعر منهجًا جديدا عرف بمدرسة الصنعة أو مدرسة البديع؟

يسعفنا الاستقراء في أدب العصر العباسي بالإجابة التي أرجح أنها السبب الطبيعي لأي محاولة لظهور مدرسة أدبية أو فكرية جديدة:

1. ازدهار العصر من حيث العمران والأنشطة التجارية والملاحة وغيرها.
2. حركة الترجمة.
3. الاطلاع الواسع على الثقافة اليونانية والفارسية.
4. إضافة إلى تمكنه من تراثه الشعري والأدبي.

لكن سيقول قائل: أمَا كان النقاد الذين اعترضوا طريق أبي تمام وعابوا شعره على قدر كبير من الثقافة اللغوية والشعرية؟

ويؤسفني أن أجيب بأن استقبال الشاعر لتراثه اللغوي والشعري وانصهار روحه في الأخيلة والمعاني ليس كاستقبال غيره من علماء النحو واللغة.

لقد أراد الآمدي وابن الأعرابي وأبي العلاء وغيرهم أن يعمموا مفهوم الشعر أبد الدهر وأنه لا يجدر بالشاعر اللاحق إلا أن يكون على سنن السابق، وأن يمشي المتأخر على أثر المتقدم أو لا؟ فالشعر عندها غموض وأقوال لا تفهم.

وفات هؤلاء أن بيئة العصر العباسي بيئة حضارية وأن بيئة الشعر القديم – على جلالة قدره – بيئة بدوية لا تصلح أن تكون مذهبا مفروضا على كل العصور بمختلف سياقاتها التاريخية والثقافية والفكرية. لقد ضاقت نفس المبدع بالمعاني المكررة والصيغ التي أصبحت باردة من كثرة الطرق

والاستعمال وشعرت الذات الخلاقة برغبة جامحة بالخروج عن السائد والبحث في أغوار اللغة والنفس عن متنفس أو أسلوب شعري جديد.
دعونا من كل ذلك .. فما كلامي بجديد!

لقد تناول مثل هذه المواضيع أدباء كبار .. منذ مطلع النهضة العربية الحديثة على يد محمد علي باشا .. لقد تنبه الأدباء أن اللغة العربية وآدابها بعد عصور الانحطاط قد اعتراها الجمود فهي توشك على التلف .. صار الشعر أوزانا ورسائل تهاني ومديح وصار النثر سجعا باردا وفراقع لفظية ساذجة الفكرة. فهبوا هبة رجل واحد ونفضوا عن كواهل آداب اللغة الغبار وسعوا إلى إحيائها عن طريق تلقيحها بعلوم العصر وآداب الأمم الأخرى التي قامت حركة الترجمة بإيفادها إليهم باستمرار.

وهناك تنبيهات على التقليد والاستعمالات المكررة وشعور بالنفرة منها

وقفت في جولاتي الأدبية على **كتاب لبنت الشاطئ بعنوان قيم جديدة للأدب** .. الكتاب من الحجم المتوسط .. يبدو لي أنها ألفته ردا على زميل لها في الجامعة كان لهذا الزميل موقف من التراث الأدبي العربي ومن النقولات الموجودة في الكتاب يتبين أن هذا الزميل كان يتهم النقاد العرب بأنهم ظلموا المبدع وألغوا ذاتيته وحريته بأن جعلوه خادما للقصر إذ أن القصر مصدر السيادة والرفعة. وقد وجدت صدى لهذه الأفكار في كتاب

للدكتور أستاذنا القدير / عبد الواسع الحميري بعنوان / شعرية الخطاب في التراث النقدي البلاغي والكاتبة تعتب على النقاد العرب أمثال ابن سلام وابن قتيبة في انجرارهم إلى السياسة والتأثر بأجوائها.

أثارت انتباهي قصة وردت في الكتاب:

دخل الأخطل على عبد الملك ابن مروان فقال: يا أمير المؤمنين، قد امتدحتك. فقال: إن كنت بالحية والأسد فلا حاجة لي بشعرك، وإن كنت قلت مثل ما قالت أخت بني الشريد – يعني الخنساء – فهاتِ فقال:

وما بلغت كعب امرئ متطاول
به المجد إلا حيث ما نلت أطولُ

وما بلغ المهدون في القول مدحةً
ولو أكثروا إلا الذي أفضلُ[1]

ولأن كثيِّر عزّة قد اتصلت أسبابه بالقصر الأموي وقال فيهم مدائحه، تقدم على الشاعر " جميل بثينة " الذي لم يتصل بالسياسة ولا مارس الفن الذي

[1] الدكتورة عائشة عبد الرحمن. قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر 106.

يرضي الحكام، وإن يكن " جميل " – باعتراف النقاد – أبرع فنا وأصدق عاطفة! لكنها إرادة السلطان اعتمدها النقاد فاحتل "كثيّر " مكانه عندهم في الطبقة الثانية، وتأخر جميل إلى الطبقة السادسة. وكأنما أراد ابن سلام أن يبرر الموقف فقال: وكان لكثير في التشبيب نصيب وافر، وجميل مقدم عليه في النسيب وله في فنون الشعر ما ليس لجميل، وكان جميل صادق الصبابة، وكان كثير يقول ولم يكن عاشقا، وكان راوية لجميل ". [1]

وتبعا للسياسة وقوة القصر البيانية فقد تهافت الشعراء على أبواب السلطان حتى عرفوا بشعراء البلاط.

وروي من أخبار " الأخطل " أنه قال ذات يوم لعبد الملك بن مروان: يا أمير المؤمنين، زعم ابن المراغة – يعني جريرا – أنه بلغ مدحتك في ثلاثة أيام، وقد أقمت في مدحتك:

خف القطين فراحوا منك أو بكروا سنة، قما بلغت كل ما أردت. فقال عبد الملك: فأسمعناها يا أخطل. فمضى ينشدها وعبد الملك يتطاول لها، حتى إذا فرغ من إنشاده، قال له الأمير: ويحك يا أخطل! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟

قال: أكتفي بقول أمير المؤمنين.

---

[1] ابن سلام، الطبقات 100.

ومنطق الخبر أن التنافس على مدح الأمير كان على أشده، وأن الأمير كان بحيث يصدر مرسوما ملكيا بإمارة شاعر، ويسير المرسوم في الآفاق!

إنه حادثة تذكرنا بما جرى للإمام مالك رضي الله عنه يوم أراد الخليفة أن يعلق الموطأ على أستار الكعبة فليزم الناس به.

وكما كان القصر – قصر الحاكم – يتصرف في منازل شعرائه ومراتبهم الشعرية، ويوزع عليهم حظوظهم من الشهرة والرزق، كان كذلك يتصرف في شعرهم ويحدد لهم مجال القول.

وقصة الفرزدق والشاعر نصيب مع سليمان بن عبد الملك ذائعة معروفة. تقول القصة:

دخل "نصيب" على سليمان وعنده الفرزدق. فاستنشد الخليفة الفرزدق وهو يتوقع أنه سينشده مدحًا. لكن الفرزدق غفل عن المطلوب منه، فأنشد مفتخرًا بقومه:

وركب كأن الريح تطلب عندهم
لها ترة من جدبها بالعصائب

سروا يخبطون الريح وهي تلفهم
إلى شعب الأكوار من كل جانب

إذا آنســـوا نارًا يقولـــون ليتهـــا

وقــد خصــرت أيــديهمُ نار غالــب

قالوا: فأعرض سليمان كالمغضب، فقال نصيب. يا أمير المؤمنين ألا أنشدك في رويها ما لعله يتضع عنها؟ فأذن له مولاه فأنشد:

أقــول لركــب صــادرين لقيــتهم

قفــا ذات أوشــال ومــولاك قــارب

قفــوا خــبروني عــن ســليمان إنــني

لمعروفــه مــن أهــل "ودّان" طالــب

فعــاجوا فــأثنوا بالــذي أنــت أهلــه

ولــو ســكتوا أثنــت عليــك الحقائــب

فتهللت أسارير سليمان وقال: يا غلام، أعط نصيبا خمسمائة دينار وألحق الفرزدق بنار أبيه.

وما كان " نصيب " في مدحه أشعر من الفرزدق في فخره ولكنها مقاييس السياسة، تحدد للشاعر مجال القول.

الفرجسية السوداء في عقولنا كلام وفي ألسنتنا رمال!!

التذوق الجمالي للنصوص الأدبية .. حاسة الاستشراف إلى الجمال المطلق.. غريزة في الأسوياء من الناس .. يسوقهم إلى ذلك عطش روحي يلح طلبا للخلاص من ضغوط المادة والحياة القاسية.

من منا لا يطرب وهو في بحبوبة روضة وارفة غنّاء؟ عن يمينه الروابي وشماله تبرق بالنضار، والظلال باردة، والنفس سمحة رضية.

لكن ذات الفنان .. ليست كأية ذات .. إنها ذات معدة لأن تتحرر من كل عوالق اللحظة، فتنصهر في تلك الومضة المشعة من تلك الروضة النضرة.. كتوحد القصيدة بعلاقاتها الداخلية من خواطر وأخيلة. فلا تستطيع أن تفصل بعضها عن بعض.

كذلك في عالم الشعر البديع .. ليست الذات واحدة في تلقي وهج القصيدة .. هناك من تبلغ القصيدة في نفسه مبلغا تطغى فيها أضواؤها على عقله فتشعر أنه قد غاب عن الوجود أو أنه فقد الجاذبية فإذا به يهم

بالطيران .. تماما كما حدث مع خلفاء بني أمية حين طرب من قصيدة مديح قيلت فيه وكان الشاعر بشار بن برد حاضرًا .. فعلم بشار بروعة القصيدة فقال لمن بجانبه: انظر إلى الخليفة هل طار من مكانه؟!

وهناك من الذوات من تمر بها القصيدة فلا تطرف لها عين ولا تقوم لها شعرة!

لا تقولوا لي: هذا يعتمد على نوع القصيدة!

كنتُ مرة أقرأ لأحد المفتونين بتذوقه الجمالي حدَّ الإسفاف! إنه في الحقيقة لا يملك إلا صورة هذه الكلمة " الذوق " تجسَّمت في ذاته حتى خيِّل إليه أنه عرَّاب النقد!

ألقيت عليه في حديقة ذات يوم إحدى قصائد المتنبي، كان المتنبي في هذه القصيدة يقف أمام محراب العذاب الإنساني .. فبدا مكتئبا حزينا، متطامنًا منكسرًا .. تذهب به رياح القهر تارة، وتعود به مرارة الذكرى تارة .

والمتنبي حين تنفعل نفسه وتتلبس به حرارة التجربة أسمعك من الشعر ما يهز الوجدان فتطرب له النفس دهرا .. لا تود أن تستبدل بها غيرها .. لروعة ما فيها من طاقة وأسر.

كما حدث لأبي السائب المخزومي عندما فتن بقصيدة لعروة بن أذينة .. شيخ البخاري .. إليكم القصة: "حكى عروة بن عبد الله قال: كان عروة بن أذنية نازلًا في داري بالعقيق، فسمعته ينشد لنفسه الأبيات:

إن الـــتي زعمـــتْ فـــؤادَك ملّهـــا
خُلقتْ هـواك كما خُلِقتَ هـوًى لها

بيضـــاءُ باكرهـــا النعـــيمُ فصـــاغها
بلُبانـــــــة فأدقّهـــــا وأجلّهـــــا

حجبـــت تحيتهـــا فقلـــت لصـــاحبي
مـــا كَـــانَ أكثرهـــا لنـــا وأقلهـــا!

وإذا وجـــدتُ لهـــا وســـاوسَ سَـــلوة
شـــفَعَ الضـــمير لهـــا إلي فســـلّها

لمـــا عرضـــتُ مســـلِّما لي حاجـــة
أخشـــى صـــعوبتها وأرجـــو ذلهـــا

حجبــت تحيتهــا فقلــت لصــاحبي

مــا كَــانَ أكثرهــا لنــا وأقلهــا!

فــدنا، فَقَــالَ: لعلهــا معــذورة

فِي بعــض رقبتهــا، فقلــت: لعلهــا!

فأتاني أبو السائب المخزومي، فقلت له بعد الترحيب: ألك حاجة؟ فقال نعم، أبيات لعروة بلغني أنك تحفظها، فأنشدته الأبيات، فلما بلغت قوله " فدنا " قام وطرب، وقال: هذا والله صادق العهد، وإني لأرجو أن يغفر الله له الحسن الظن بها، وطلب العذر لها، فقال: فعرضت عليه الطعام فقال: لا والله ما كنت لأخلط بهذه الأبيات شيئا ثم خرج.

فمن سمع للمتنبي تلك الأبيات التي اصطفاها لنفسه كما يقول طه حسين.. لم يخلط بها شيئا.

والقصة أن المتنبي كان قد مُنع من دخول مدينة الكوفة فعاش بعيدا عن جدَّته لأمّه التي كانت كأمه وأشد .. فهي التي ربّته واعتنت به ودفعت به لمواصلة تعليمه في الكتاتيب الخاصة بالعلويين كما ورد في ترجمته في كتاب "رسالة في ثقافتنا " لمحمود شاكر .. على كل حال ..لم يكن المتنبي ينظر الدنيا إلا من عيون جدته ولم يكن يجد فرصة للهدوء وجدته بعيدة عنه.

في أواخر أيامها أصيبت الجدة بالمرض وظلت وحيدة لا زائر ولا طبيب حتى أتاها في السرّ كتابٌ من ابنها المتنبي .. فتفقَّدتْه بعيونها المغرورقة بالدموع وضمته إلى صدرها بكل الشوق ولوعة الذكرى ..ثم ما لبثت أن وافتها المنية.

انتفض المتنبي كالأسد حين وصل خبر موتها! لكن ماذا يفعل؟ أخذ يتململ في مكانه .. حتى جاشت خيالاته .. فقال:

لكِ اللهُ مِنْ مفجوعة بحبيبها

قتيلةِ شوقٍ غير مُلحقها وصْما

"لكِ اللهُ ". فلا طبيب يستجلب من قريب، ولا جار يفرض عليه الواجب أن يزور ويسأل فيمد يد العون.

الله وحده حسيبك.

"لك الله". آهةٌ تخفي ورائها حسرة قلب لم يستطع أن يقدم شيئا .. خاف بطش السلطان فاستسلم وأذعن تحت نصح الناصحين.

وهي "قتيلةُ شوقٍ" .. لكنه الشوق الإنساني السَّامي والعاطفة الأبويّة الفياضة.

"غير مُلحقها وصما" فهو اشتياق تفرضه الأخلاق الحميدة، وتُقرُّهُ المروءات الفاضلة.

أحنُّ إلى الكأسِ التي شربتْ بها

وأهوى لمثواها الترابَ وما ضَمَّا

لقد تلقت روحي هذا البيت من القصيدة وتخيلت فقد عزيز! كم هو منفعل باكٍ هذا الشعور وكم هو طافح بالحسرة والأماني وأجمل الذكريات السعيدة يواريها الثرى!

يتخيل المتنبي جدته وهي تتناول الكتاب بلهفة واشتياق:

أتاها كِتابي بَعدَ يأسٍ وتَرْحَةٍ

فَماتَتْ سُرُورًا بي فَمُتُّ بها غَمّا

لقد أتاها كتابي الذي كانت تنتظره بفارغ الصبر لتطمئن على حالي وتقرأ من خلال حروفه روحي، وقد وصل إليها بعد معاناة شديدة .. فطول المسافات جائر، والحرس على أبواب المدينة يتربصون بي.

فماتت سرورا بي فمت بها غما!

وعلى ما في هذا البيت من صورة جمالية فيما أحدثته المفارقة بين "الموت والسرور" من دهشة: " فماتت سرورا بي " إلا أن المتنبي لم يكن في حالته المتوجعة تلك ليعمد إلى معجم الزخارف اللفظية والمحسنات البلاغية فيضع ألوان الزينة وزهور البهرج على سطح القصيدة كي تسرّ الناظرين! لقد جاءت الصورة الشعرية عفوًا، صعدت إلى السطح من اللاوعي في حالة مواجهة مع الألم الذي تضخمت صورته في ذات المتنبي حتى لم يعد يرى شيئًا من تلك الأوراق البلاغية الملونة! وهذا من صميم العبقرية الشعرية فضلا عن صدق التجربة التي سدت على الشاعر كل منافذ الاحتيال فبان وجهه الباكي للعيان!

" فماتت سرورا بي .. فمت بها غما " يا للوعة والروعة !

حَرامٌ على قَلبي السّرُورُ فإنّني

أعُدّ الذي ماتَتْ بهِ بَعْدَها سُمّا

يتخيلها ممددة على سرير المرض .. في حجرتها الطينية الصغيرة .. الرسالة بين يديها المرتعشتين:

تَعَجَّبُ مِنْ لَفْظي وخَطّي كأنّما

ترَى بحُرُوفِ السّطرِ أغربةً عُصْمَا

والمتنبي هنا ينظر إلى جدته الملقاة على سرير الموت بعين مبصرة نافذة ويرى من وراء الحجب جدته وهو تقلب الرسالة بيد كليلة وتدير حوله عيونا متعبة!

ويخيل إلينا كقرَّاء .. أن وتيرة أنفاسنا تتصاعد مع هول الموقف .. وهي تتعجب من الخط ولون المداد وشكل الحروف وكأنها ترى أمامها وجه ابنها فتمسح عنه وتتلمس جوانبه وتمر على شعره بيديها كما تفعل الأم ..كأنها تتدخل معه بحوار هادئ فرارا من وطأة العزلة وظلالها الثقيلة !

وهنا لفتة جميلة .. فالمتنبي يربط بين لون المداد وورقة الرسالة البيضاء بالغراب الذي في بعض ريشه لون أبيض رباطا نفسيًا .. فالغراب أسود .. ولكن هذا النوع من الغربان نادر جدًا ومميز، فهو يصور لنا والدته وهي تقلب الكتاب كأنها ترى فيه ملامح ابنها المميز .. المختلف عن سائر الناس .. ابنها الذي هو قطعة من الشوق، أثمن ما في الحياة. ابنها المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس .. إنه شاعر نادر.

وانظر إلى براعة هذه الصورة المرئية المتحركة وهي يصور لنا والدته وهي تتفاعل لا إراديا مع رسالة ولدها:

وتَلْثِمُـــهُ حـــتى أصـــارَ مِـــدادُهُ
مَحـــاجِرَ عَيْنَيْهـــا وأنْيابَهَـــا سُـــحْمَا

رَقَـا دَمْعُهـا الجـاري وجَفّـتْ جفونهـا
وفـــارَقَ حُـــبّي قَلبَهـــا بَعـــدمَا أدمَـــى

ولم يُسْـــــلِها إلاّ المَنَـــــايا وإنّمَـــــا
أشدُّ منَ السُّقمِ الذي أذهَبَ السُّقْما

يا إلهي!

إن الوحدة الجامعة في هذه الأبيات تتمثل في تلك العلاقات المتينة والمترابطة بين أجزاءها، وقد نمت فيها الصور نموا عضويا لا نموا موضوعيا فحسب فكأن القصيدة صورة كلية.

وبعد أن ألقيت على مسامع صاحبي في الحديقة القصيدة كاملة .. وكلي حماسة قال وهو يحك قفاه: ولكنها قصيدة ضعيفة .. أين التراكيب .. والتقديم والتأخير!!!!

طبعا من حقكم أن تضحكوا حتى تسقط الأشياء من حولكم!

إن تفسير التجارب الشعرية يقوم على معايير نقدية صارمة .. لكنها لا تغفل الحس الجمالي في الناقد. وما أجمل الناقد عندما يكون شاعرًا كما يقول لويس سيسل في الصورة الشعرية.

قال سدني: "إن ما يصنع الشاعر ليس القافية والتقطيع الشعري وإنما ابتداع صورة بارزة للفضيلة أو الرذيلة أو أي شيء آخر ". أي أن تشتق مع كيان الألم علقة أو .. من سعير الوجد جمرة فتقدمها في قالب متوهج بالإبداع من جنسها.

لا نريد أن نعقّد الأمور .. فنشترط لتذوق النص شروطا! لا. إن علوم اللغة والبلاغة كلها لو صبّت صبًّا في رأس من لم يؤتهم الله رقة الطبع ورهافة الحس لن تغني شيئًا.

أعجبني الكاتب / خليل السكاكيني .. عندما ذكر في كتابه "مطالعات في اللغة والأدب " قضية " الصّنعة والملَكَة" من أن سيبويه جمع في كتابه المسمى بـ "الكتاب " بين الصنعة والملكة .. فالقارئ أو المتأدِّب يخرج من درس الكتاب بالموهبتين معًا لأن سيبويه لم يكتف بشرح قواعد النحو .. بل ضمن كتابه الكثير من الشعر والنتف البلاغية والإشارات اللغوية .. تمامًا كطريقة الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" فالكتاب يظهر من عنوانه أنه

متعلق بمباحث علوم البلاغة .. لكنك ما إن تدخل على الكتاب حتى تنفتح أمام عينيك رياض زاهية الألوان من روائع الخطب والأشعار والأخبار والسير.. فتعلق في روحك زهرة، ويسكن أعماقك سحر العربية، وإذا بهواجس تزقزق في شراييك .. تريد أن تجري على أسلات قلمك. نعم. هذا هي ثمرة القراءة في مثل هذه الكتب " الصنعة والملكة ".

حتى أنني بالمناسبة أذكر أن أحد الكتاب الذين أشاد بهم الناقد الإنجليزي المعروف سيسل لويس في كتابه الصورة الشعرية .. ألَّفَ كتابا في النقد أسماه " العلم الممتع "! وقد بدا سيسل متعجبًا من عنوان الكتاب! من الجمع بين "العلم" الذي يقوم على أفكار منطقية مجردة تخاطب العقل لا مجال فيها للانطباعات والعواطف، وبين "المتعة" التي تعمل على إدخال البهجة والسرور في النفس. "العلم والمتعة". لا شك أنه عنوان كتاب لماح.

تطالعنا الكثير من الكتب النقدية التي تجتمع فيها ملكة الكتابة الأدبية والملكة النقدية معًا! مثل كتاب المثل السائر لابن الأثير مثل كتاب البيان والتبيين للجاحظ .. أبي العلاء المعري .. وفي الحديث طه حسين والعقاد وسيد قطب والمازني وزكي مبارك وحمود تيمور ومصطفى محمود وعلي الطنطاوي. لن تقرأ لأحد هؤلاء إلا وتسكنك العفاريت فتنبعث في قواك الرغبة بالكتابة ..كأن تيارا كهربائيا سرى منهم إليك. وهذه أسمى وظائف البيان .

وقريب من هذا ما أشار به الدكتور عبد الله الغذّامي في كتابه: " تشريح النص "إن وظيفة الشعر هي توليد المشاركة الوجدانية بين الشاعر والمتلقي". وإن كان حديث الغذامي محدوداً للشعر فهو يصلح أن يكون مثالًا يقاس عليه كل جنس أدبي، والمشاركة الوجدانية التي يقصدها الدكتور الغذامي هي تلك التي تنتج تفاعلًا، تقف الكتابة منه والتعبير عن المشاعر في المقدمة. وإن كان ثمة حديث عن الأسلوب واختيار اللون الأدبي المناسب للعصر .. فذاك حديث ذو شجون!

ماليزيا 12 / 8 / 2020

ما أمرّ اللغة الآن!

يا رب إليك المشتكى .. كلما غمزتنا أشواقنا لنستأنف ما وقفنا عنده بالأمس من القراءة الجادة .. وقعت مشكلة ينزف لها الفؤاد.

يأخذ أعماقنا وهج النهضة الأوروبية الحديثة في الفلسفة والأدب والموسيقى. نعيش فضاء المعرفة، فتشنف آذاننا موسيقى الأقلام، وتطير بأحاسيسنا روائح الأوراق، وتحثنا الأشواق لنكافح من أجل حياة مدينة حديثة .. حياة مدنية تنبع منَّا .. من لحمنا ودمنا .. من دموعنا وأنيننا .. لا مدنية تفرض علينا من السلطان.

لكننا يا رب تخطفنا أصوات القنّاصة، ويدمي أرواحنا سقوط طفلة ذهبت لتجلب ماء للشرب .. يا رب ماء للشرب فقط! فتجرنا إلى الأرض السفلى عقول متجرة لا تفهم لغة ولا حرفا ولا تدين لمنطق، يجرها إلى الماضي ذوق فاسد وطبع معفن ودم نجس، وتصدها عن الإنسانية لعنة تشبه لعنات السحرة والشياطين.

إليك المشتكى .. لا كتاب يستقر عاقلًا رزينا مستجمعًا قواه بين أيدينا، ولا هاجس يخلع لأمة الحرب ونحن في الطريق إلى قاعة الدرس!

تكاد الأقلام من شدة الغيظ أن تجرح أيادينا شفراتها، وتجري بنا حممها وبراكين مدادها!

فهمت الآن معنى قول أدونيس: ما أمرَّ اللغةَ الآنَ، وما أضيقَ بابَ الأبجديّة!

2020/8

ظاهرة الانطماس القهري ..!!

يا رب إليك المشتكى .. أشعر بشعور غريب .. سلبي .. أشعر بالرغبة بالصراخ .. أشعر بالرغبة في الاجتماع بالأصدقاء .. لأول مرة أشعر بضيق من العزلة! لست مهتما بالتوافه .. لدي مشروع جبار .. مشروع فلسفي حول الجمال والفن كمدخل لفهم الشعر والصورة الشعرية ونظرية الأدب .. وقد حددت أروع وأجمع الكتب .. خمسة أو ستة كتب .. ومع ذلك أشعر أني أضعت أبجديات القراءة !لا أعرف كيف أدون المعلومة .. كيف أحافظ على المعلومة. المشكلة أني لا أرعف طريقا غير هذا. الأفق مسدود إلا من هذا المبحث. لابد لتأسيس مفهومي الخاص حول الصورة الفنية ونظريات الأدب وطبيعة الشعر. ليس الأمر شهلا لكنه لا سبيل إلا به. ماذا أفعل برأسي؟ وأنا أقرأ تسكنني الأصوات وتجتاحني الذكريات والمهمات والأبناء! هل من طريقة للصفاء الذهني؟ هل أعمد لسماع الموسيقى .. لمشاهدة فلم؟ أنا محاصر وأشعر بأزمة في عدم الاستيعاب. هل أجرب أقرأ من اللابتوب؟ لأني من خلاله يمكنني الجلوس براحة والتدوين بشكل أفضل؟ لم لا؟

ظاهرة الانطماس القهري !

لقد عرف العالم ظواهر علمية عديدة منها ما يتعلق بالظواهر الكونية ومنها ما يتعلق بالظواهر الاجتماعية وغير ذلك .. لكن هناك ظاهرة وهي رغم قدمها إلا أن النقاد والفلاسفة لم يقفوا بها على تعريف محدد ومنضبط!

تتعلق ظاهرة الانطماس القهري بالعقل. وهي على أشكال منها ما هو بسبب زيادة الوعي ومنها ما هو بعدمية الوعي.

من المعروف أن عقل الإنسان الجاهل عقل ضعيف لا يقدر على التمييز بين الحقائق المعرفية .. سطحي بإمكانه أن يعتنق أي خرافة. هذا شيء طبيعي! لكن الأمر الملفت للنظر والذي على أساسه أصبح هذا الأمر ظاهرة هو أن العقل عندما يمتلأ بالكتب .. ينسد الأفق تماما.

يتحول الكتاب الذي إلى لغة أجنبية منقرضة! يصبح القلب مثل الكوتش.. تبدأ العين بالحركة في دوائر سوداء تدور مسرعة باتجاهات مضادة. ينفرج الفم حتى تبدو الأسنان من الابتسام لهذه الظاهرة أعراض:

1- منها صدور نباح بطيء

2- ركض في البيت وقفز بلا سبب

وهناك أعراض أخرى كالاجتماع بصديق وغير تلك المغامرات الخطرة.

هناك اقتراحات كثيرة لتفادي ظاهرة الانطماس:

الصلاة

سماع الموسيقى

الكتابة

2020/8

يوميات الأربعاء الإمامة!

الإمامة صفحة من صفحات التاريخ الأسود للتخلف، ووجه آخر للانحطاط، وليل دامس يثقل القلب بظلاله وأطيافه، وانتفاضة طاغوتٍ اهتبل من غفلة الشعب فرصةً لجنونه ونزواته فاعتلى وتجبّر.

الإمامةُ أوسع أبواب الرذيلة، وأكبر مشروع هدّامٍ، وأعظم شرخٍ في العقل، وأبلغ جرحًا في النفس! ألف عام من الحكم الكارثيّ! إننا لا نزال نعاني من آثار مرضه الوراثي حتى اليوم.

ما زال منّا من يستمرئ العودة إلى الماضي، ويستحلي العيش في كنف الفوضى المدمرة، ولا يرى في الحاكم أنه موظف أجير بل يرى فيه الحاكمية والألوهية .. فالحق ما نطق به، والصواب ما أشار إليه، والعدل حيث يمشي، والفضيلة حيث ينام .. يقتل الناس بعضهم بعضا للفوز برضاه، والسير في هداه .. الهدى الذي سوَّلَته للناس زبانيته وأملته لهم!

نأكـــلُ الجـــوعَ ونستســـقي الظمـــا

ونننـــــادي: يحفـــــظ الله الإمامـــــا

كيــف يرعــى الغــنمَ الــذئبُ الــذي

يـــنهش اللحـــمَ ويمـــتص العظامـــا

عميت عيون المجتمع واضمحلت شخصيته وضعف خياله، وأقامت الإمامة الأسوار والحواجز النفسية، وعزلت المجتمع عن العالم، فلم تستطع أنوار الحضارة والتقدّمية أن تنفذ من خلال تلك الحواجز المنيعة إلى عيون الناس وأعصابهم! فلا مدارس ولا طباعة ولا نشر ولا مكتبات! لألف عامٍ واليمن الطيب في معتقل كبير!

القمع .. الإرهاب .. كانا روح المملكة الأسود، السجون كانت حدائق الموت. الشوارع كانت ساحاتٌ لتنفيس الحقد، ومحكمة للعنف والجريمة.

سرت هذه الروح الشيطانية في خلايا الناس .. روح الفرعون. روح الاستخفاف وحب التملك والاستفراد بالرأي. فتمزقت الهوية ولم تعد هناك هوية جامعة لدى خطابنا السياسي والأدبي وصار كل شخص يرى الهوية من منظوره هو! من منظور حزبه أو من منظور قبيلته، أو من منظور قريته.

لا ننسى أن نفتش كل يوم تحت جلودنا عن الأفكار التي تسكننا، والهواجس التي تعشعش فينا، والأمثال والأغاني والأشعار والقصص، والعادات التي تشكلنا وتقلبنا وتصرفنا على هواها حتى غدت دينًا مسلَّمًا.

إننا نحتاج إلى تحديث شامل لكل أنظمتنا الدينية والأخلاقية والفكرية. إلى قراءة طويلة لا تنقطع في كل مجالات المعرفة. قراءة صادقة دافعها العزيمة والرغبة الجادة بالتغيير. بأن نكون لبنة من لبنات الحق والقوة في المجتمع .

لن يساعدنا أحد إذا لم نساعد أنفسنا. لن يكون أحد في الدنيا أحرص على اليمن منّا.

إن صوت الزبيري الخلاب يرن في الأصداء:

ما يهبُّ النسيمُ إلا وجدنا
طيِّهُ زفرةً من الأوطانِ

تحمل الطلَّ للرياضِ وتذكي
في الحشا لفحةً من النّيرانِ

إننا نحتاج لأن نتناص مع الزبيري روحًا وفكرة، وأن يصبح الزبيري نسقًا ثقافيا وفنيًا .. أن تشتغل الموسيقى والأغاني والمسرحيات على فكرة الزبيري كي يحيا الوطن ولا تموت .. كي تنسكب في القلوب القيم الوطنية والروح القتالية التي لا تعرف الانهزام .. تلك التي كانت تعيش وتعبق في دمه.

الزبيري رحمة الله عليه بوصلة الوطنية تهدي الفكر السياسي المتذبذب والروح الشاعر القلق .. بوصلة تجمع الرؤى المتفرقة والأصوات المتباعدة وتوجهها نحو مسارها الصحيح في طريق البناء.

ستعلم أمتنا أننا

ركبنا الخطوبَ حنانًا بها

فإن نحن فزنا فيا طالما

تذل الصعاب لطلابها

وإن نلق حتفًا فيا حبذا المنايا... تجيء لخطَّابِها

2020/8/26

التراث المعاصر

أجد أنه من الوعي والنضج الثقافي المشفوع بنية جادة وصادقة في طلب الحقيقة أن نقف أمام تجربة محمود درويش وسميح القاسم وصلاح عبدالصبور وأمل دنقل ونزار قباني والبردوني وقاسم حداد وقفة التلميذ النجيب .. المتأني غير المستعجل.

الحريص على التعلم. هذه الصروح الأدبية الكبرى وضعت لبنات التغيير في المجتمع على الصعيد الإنساني العربي على مستوى السياسة والدين والحياة.

إن تجاوز هذا التراث القريب إلى تراث يفصلنا عنه أكثر من أربعة عشر قرنا ليعد طيشًا وعملا صبيانيًا. ينبغي أن يواصل الشعر مسيرته إلى الأمام وأن لا ينظر إلى القديم إلا بمقدار ما يمكن توظيفه في التجربة المعاصرة .. فكرة القطيعة مع التراث فكرة مرفوضة. هذا لا مجال للمناقشة فيه. لكن البيئة والمجتمع لهما الأولوية في معالجة مشاكل الناس وغربلة العادات السلبية وعوائق التفكير الحر وعوائق نهضة الإنسان العربي.

إنما الشعر هو الذي يحدثك في أعماق نفسك، ويصف لك الشعور الحساس وصفا غامضا مبهمًا، يدع لشعورك أن ينطلق، ولخيالك أن يتيه، لأنه لا يضع أمامك مقاييس وحدودًا، ولكنه يدعك في ميدان فسيح من عالم الروح الرحيب. سيد قطب

2020/8

على الضفاف

مذكرات يومية 18 / 8 / 2020

ما تمر به عاطفتي اليوم لشيء يدعو إلى الغرابة! أصبح خيال الشعر لدي واقعيًا كأن طائره قد تعب من التحليق البعيد.

كلما حدثت واقعة أو كارثة إنسانية تستدعي التدخل والتعبير الفني .. لم تستجب لها قواي النفسية استجابة فورية وإنما ترجئ ذلك للغد .. فإذا جاء الغد إنما وقعت كوارث إنسانية أخرى أو انشغلت بتلخيص كتاب !! وهكذا تتراكم الوقائع وتؤجل الكتابات. وأنا لا أدري أين غاض ماء شعري؟!

لقد ابتدأ الشعر معي .. حفظته وأنا صغير ورافقني عمري .. أجفوه ولا يجفوني. لكنه بعد أن رآني شغوفا بالفلسفة والمنطق وقواعد التفكير .. أعتقد أنه حنق وابتعد دون أن يستأذن أو يشعرني! هل سيعود؟

بدأت نظرتي للمجتمع تتسم بطابع أكاديمي. تريد أن تناقش جواهر المشاكل لا عوارضها .. تريد أن تسبر أغوار جذروها لا أن تتعلق

بالشكليات والقشور. لقد وجدت أن ذلك أجدى في عملية الشخيص، وأن أعمال الوجدان لا يناسبها العمل في هذه المناطق.

أنا حزين .. ليتني أستطيع أن أسعف الإنسانية بقصيدة طالما وأن الحال لا يسعد! لم أكن يوما سلبيًا ولله الحمد. ولذلك على صفحات التواصل الاجتماعي لدي الكثير من الأعمال الأدبية مرتجلة وابنت لحظتها ولا تزال رغم بعض ما يشوبها من هنات خصائص الارتجال والكتابة الردة الفعل السريع.

أفكر! ما هو شعور الأكاديميين؟ لا أعتقد أن صورة الطفلة التي قام الحوثي بقنصها وهي في طريقها لجلب الماء .. لا أعتقد أن منظرا كهذا لم يؤثر بهم! ولكن .. ماذا يكتبون؟ إن الكتابة الأدبية ملكة وليست صنعة. والتعاطي مع هذه العلوم يكسب العقل منطقا وتنظيما وترتيبًا وعلمية فلا يستطيع العقل بعد مرور السنين أن يعبر تعبيرا مجازيا إبداعيا. هل هذه حقيقة؟ نعم. إن القراءة في الشعر تلقح شعرًا وفي النحو تطعم نحوًا وفي الفقه تصبغ العقل بملكة الاستنباط الحكمي من الأدلة التفصيلية. ماذا نفعل؟ وأنا أقرأ في الفلسفة وجدت أن أغلب أدباء وشعراء أوروبا فلاسفة ولديهم آراء نقدية وعلمية مهمة كلويس سيسل وكولريدج وس.ت.إليوت وآخرين. وكذلك لدينا في أدبنا العربي من جمع بين الفنون والعلوم. قبل أن أتحدث كيف يحدث ذلك علي أن أعترف أني سائر على ذات الدرب. لكني أشعر أني

تجربتي الشعرية قد استنفدت طاقتها وهي تشحذ قواها الآن بالجديد. بل إنها تنتظر نظريتي في الشعر ومفهومه. فقد حدثت في داخلي وأنا أعد رسالة الماجستير في الصورة الشعرية مراجعات طويلة حول قضية الشعر. ما هو الشعر؟ وما هو الأسلوب والشكل والإيقاع المناسب الذي أراه مناسبا لي؟ أنا خلقت مستقلًا .. متمردا .. فلماذا في تجربتي الشعرية أشعر أني متذبذب غير مختار؟ أين الرمز والأسطورة والقناع في تجربتي القديمة؟ كيف أألف كتابا في الشعر وأنا لم أقرأ في الشعر كتابا خاصا بالشعر؟ قضايا شعرية كثيرة متعلقة تنتظر الحسم! لذلك ذاكرتي تعاني مني فهي كلما قدمت لي شيئا رددته ولم أرضه.

هذه الفترة بالذات .. كنت أتمنى أن أكون في دولة عربية. لأن انشغالي بدراسة اللغة بين الحين والآخر .. يسحب من طاقتي ويشتت انتباهي.

الحق سلاحي وأقاوم

أستميح الفنانة اللبنانية الثورية / جوليا بطرس لاقتباسي أحد عناوين أغانيها الرائعة فأجعله ترويسة لمقالتي المتواضعة هذه.

اشتغلت قبل فترة قنوات التواصل الاجتماعي على البخاري ومسلم.. ثم انتقلت بالتدريج إلى حرم القرآن الكريم .. فأخذوا نتفًا من آراء المستشرقين الشوهاء حول ما دار من مشاكل عائلية بين زيد بن حارثة وزوجته زينب بنت جحش رضي الله عنهم أجمعين .. ثم حشروا الرسول صلى الله عليه وسلم ولمزوه بطرف خفيّ! ثم قالوا أن هناك صفحات ناقصة من سورة الأحزاب .. ثم انتقلوا بعدها إلى حرمة القدس الشريف فدعوا إلى التطبيع مع العدو الصهيوني بحجج سخيفة تشبه في سخافتها طبائع الحمير التي خلقوا منها .. ونسوا أن القدس قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين الشريفين .. وغدًا سيطلون علينا بصرعة أخرى بلا شك مدوّية ترتج لها عقول السذج والبسطاء من الناس الذين هم محور الصراع عبر التاريخ، تتجاذبهم التيارات كما يتجاذب الشاة قطيع من الذئاب.

يا ناس اعقلوا!

اليمن تجرفها فكرة عفنة، ودعوة سلالية مقيتة .. البيوت والشوارع والجامعات تحت القصف والإرهاب .. الأطفال والنساء وكبار السن تحت عنت الحديد وعصف النار.

الوطن العربي يمزق شر ممزق.. ثرواته ليست له بل لأعدائه .. إرادته وقراراته ليست منه بل هي تملى عليه بكرة وعشيّا، ودعاة الفضيلة يحاصرهم الفقر أو ينفون في غياهب السجون، والحاكم العربي لا يملك أدنى مقدار من شرف!

يشهد الله جل جلاله في القرآن الكريم أن اليهود ملعونون وهم أشد عداوة للذين آمنوا .. قتلة الأنبياء .. لا عهود لهم .. ثم يتراكض الحكام العرب إلى الصهاينة، ويهوون بأنوفهم إلى أقدامهم .. يأتمرون لهم .. ويعتدون بهم؟

أهناك شهادة أعز من شهادة الله؟

أما الرعايا فهم مشغولون فيما لا طائل من وراءه!!! همهم وهمنا طلب السلامة!

ومن رزقه الله صحة .. قضاها في القتل والحرب!

ومن رزقه الله وقتًا .. ملأ فراغ الوقت بالطعن في مقدسات الإسلام والنيل من الفلسطينيين الشرفاء!

لدي سبعة عشر احتمالًا أن هؤلاء الذين ينادون بالتطبيع قد صفعتهم الريح وهم خارجون من مجلس مقيل فانتفضت عقولهم بمثل هذه الترهات.

القضايا التي تتعلق بالمعرفة أو المراجعات في التراث .. والقضايا التي تتعلق بالمسلّمات والكليات العظمى في الشريعة .. هي على أهميتها إلا أنها تحتاج إلى استقرار ووطن حر غير محتل .. ونحن تحاصرنا أعاصير الجوع والفقر والمرض .. وتحاصرنا أعاصير الخيانة والعمالة التي مهدت للحوثي الطريق إلى عمق تعز وضواحيها وقراها .. هل بقي لنا فضل عقلٍ حتى نتفرغ للتراث ومسائله المتعددة ومسالكه المتشعبة؟ إننا أمام صروح ثقافية كبرى يرجع عمرها لأكثر من خمسة عشر قرنًا! بحاجة إلى تأمل ودرس وتحرير محل النزاع برويّة وعزمةِ ذوي عزيمةٍ وصبر .. العجلة والأحكام السريعة هذه أعمال طيش ونزوات صبيان لا تصلح .. هي لا تصلح حتى لأن تهش ذبابة مرت سهوًا بتلك الصروح!

ثم إن هناك ما يدعو إلى الريبة في مثل تلك الأطروحات! يركزون على قضايا التراث الديني ولا يتناولون قضايا التراث البلاغي مثلًا!! رغم أن البلاغة جزء لا يتجزأ من الخطاب الديني!

إن لدينا في التراث البلاغي مشاكل تسببت في طوام ثقافية لم نستطع حتى اليوم الفكاك منها! لا زالت حياتنا الإبداعية والشعرية على نحو الخصوص قابعة تحت نظرية البلاغة الشكلية البلاغة التي تشترط على المبدع أن ينسى ذاته وأن ينزل خطابه الإبداعي وفق مزاج الخليفة أن يتحول المبدع إلى مهرّج يأتي السلطان بما يشجيه ويؤنسه ويطربه حتى ينال حفنة من المال يشتري بها جارية أو غلاما. أو أن يكون محلّ سخرية وضحك كما فعل الخليفة سليمان بن عبدالملك بالفرزدق ذات يوم وضحك الفرزدق مع من ضحكوا في قصة ترويها كتب الأدب من أن الخليفة سليمان بن عبدالملك أعطى سيفا للفرزدق وأمره أن يضرب عنق أحد الأسرى، فقال: اعفني يا أمير المؤمنين. فأصرّ الخليفة، فلما أراد الفرزدق أن يضرب عنق الأسير نبا السيف عن يده وسقط على الأرض فارتج المجلس بالضحك فقال الفرزدق:

ما يعجبُ الناس أن أضحكتُ سيّدهم

خليفةُ الله يستسقى به المطرُ

يا للعجب! لقد جعلك خليفة الله مضحكة يا رجل!

لقد قدّم كثيِّر عزّة على جميل بثينة، مع أن النقاد قد أجمعوا أن جميل أرق وأشعر، ورغم أن كثيّر عزّة كان راويًا لأشعار جميل. ولكن لأن كثيّرًا مدح الخليفة قدّمه ابن سلّام في طبقات الشعراء على جميل!

إنها إرادة السلطان!

بلاغة تقول أعظم مدارسها: معارضة السلطان حمق! كما يقول ابن رشيق وغيره. فأصبح النفاق والتملق ملمحًا فنيا ودليل نبوغ! لقد اشترت السياسة ألسن الشعراء كما اشترت أيضا ألسن البلاغيين .. وعندما أراد أبو تمام أن يخرج عن هذا النسق المظلم وأن ينتصر للحداثة حاربوه وقالوا باطل!!!! ولا زالت إلى اليوم آثار تلك المؤسسة البلاغية التقليدية قائمة وترى أي شكل شعري جديد باطل! وأن الشعر على حد قول الفرزدق: " جمل بازل عظيم فنحر فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه، وعمرو بن كلثوم سنامه، وزهير كاهله، والأعشى والنابغة فخذيه، وطرفة ولبيد كركرته، ولم يبق إلا الذراع والبطن فتوزعناها بيننا). ومعنى هذا أن يا شعراء اصمتوا فليس بالإمكان أفضل مما كان!

فضمر خيال شبابنا الشعراء والمبدعون فظنوا أن أي خروج على القديم كفر. وأن نزارا ودرويشا وغيرهم من الطلائع شياطين خرجت من الجحيم لتفسد الأذواق وتخرّب اللغة!

معاذ الله أن نقصد إلى أن ننتقص من بلاغتنا العربية وهي المنتهى في الجمال والأبهة .. معبد الذوق الخلاق.

ولكن المفاهيم والنظريات حول البلاغة والنقد والفن والغناء والشعر وغيرها من العلوم عرضة للتغيير والتحول وليست ثوابت لا يجوز الخروج عليها، وذلك يرجع إلى السياق الثقافي والحضاري المختلف والذي تدخل عليه مفاهيم ونظريات علمية وفكرية وأدبية ونقدية جديدة .. مفاهيم هي من ذات النسق وليست أجنبية عنه فاللغة كائن حي والبلاغة ابنة عصرها. أقول هذا اختصارًا للتدليل على أن السهام الموجهة للتراث الديني مستثنية التراث البلاغي أو الفلسفي أو الفكري أمر يجعلنا نضع أمامها أكثر من علامة استفهام؟؟؟ أهي مدفوعة إلى التراث الديني بوازع نزيه وفكر مستنير وحرص على الحقيقة كما هو شأن المصلحين والمجددين؟ أم هي سلسلة من محاولات الهدم التي تطفر بين حين لآخر ثم لا تلبث أن يطلع الصباح فتكنسها الرياح إلى منحدرٍ سحيق؟

2020/8

أصوات حائرة !!

العودة إلى تاريخ ثورة 26 سبتمبر حيث أرّخ لليمن المعاصر به .. العودة إلى تاريخ النهضة العربية في مصر والشام .. أمر مفروض. لماذا؟ لأنه تاريخ قريب أولا وتاريخ اليقظة الحقيقية للمعرفة والوعي، كي يلحق الإنسان العربي المعاصر بركب الأمم التي نهضت من عقالها وظلماتها.

تاريخ يمدك بالنور والحق. أجل. إن هذه العودة للتاريخ ضرورية.

لكن العودة إلى تاريخ اليمن القديم ما الفائدة منه؟

العودة إلى تاريخ اليونان ضرورة لأن اليونان قدم أسئلة إنسانية وكونية مثيرة.. صروح ثقافية كبرى في الأدب والشعر والمسرح والفلسفة والدين والنفس والرياضيات والفلك والموسيقى. فالباحث المعاصر يحتاج عند التأصيل لمسألة معرفيةٍ ما أن يعود إلى أصولها وتاريخها. لا بأس. أما المطالبة بالعودة إلى تاريخ اليمن القديم لا أدري ما الغاية من وراء ذلك؟ هل هو الفراغ؟ أم البلاهة؟ هل عميت العيون أن تنظر للمثل الأعلى في المستقبل؟

حضارة اليمن القديم حضارة عظيمة بلا شك، وقد ذكرها الله في القرآن الكريم. لكنها أصبحت تاريخًا للعبرة فقط. حضارة لسان حالها: أن هذا الشعب كانت له جذور حضارية كسائر الأمم وكفى. لكنها لا تستطيع أن تمدنا بنظرية سياسية أو مفهومًا أدبيا أو معلومة تفيدنا في دراسة نقدية أو إضافة في نظرية سياسية أو في فن من فنون الأدب قصة رواية موسيقى ... الخ.

إذن .. ما الفائدة من المطالبة وبإلحاح مضحك بالعودة إلى تاريخ القديم؟ لقد ذهبوا إلى التاريخ اليمني القديم فلم يعودوا إلا بكلمة أقيال. وصاروا يمتازون على العرب في كل لقاء وفي كل منشور: أهلا بالقيل؟ متى قمت من النوم أيها القيل؟ كلمة القيل كان لها سياق تاريخي معين وانتهى. ماذا تريدون؟ أن تغيظوا دول الخليج مثلًا؟ أنا أتحرق شوقا لمن يفهمني؟! أهو مرض النقص فبالتالي يرون الحل في إكمال هذا النقص هو الافتخار بالقديم؟

لقد همّ رجالات الإصلاح السياسي والاجتماعي في اليمن في الأربعينات وما بعدها همّ واحد هو الحرية والحداثة. لم ترد في أبجدياتها أبدا الرغبة بالعودة إلى تاريخ اليمن القديم .. الإصلاح لا يكون بالنظر للوراء بل غذ السير للأمام.

أنا أقول: إن تاريخ اليمن المعاصر ابتدأ بثورة 26 سبتمبر وهي ثورة لم نسمع من قادتها وأحرارها وشعرائها مثل هذه النعرات المريضة. ثورة كانت عيونها مفتحة على " صبح البعث "كما قال البردوني .. كانت أحلامها مأخوذة بوهج النهضة الأوروبية الحديثة .. تحلم بنهضة أدبية وعمرانية وأخلاقية تكنس ظلام القرون الذي جاءت به الإمامة المنكودة.

لكلٍّ عقلٍ موهبة

(1)

ولأهمية الأدب ومكانته يقول طودروف في كتابه الأدب في خطر: والأدب فكر ومعرفة للعالَم النفسي والاجتماعي الذي نسكنه، والواقع الذي يطمح إليه الأدب هو التجربة الإنسانية ... فالأدب يجعلنا نحيا تجارب فريدة أما الفلسفة فتعالج المفاهيم. الأدب يصون ثراء المعيش وتنوعه، والفلسفة تفضل التجريد الذي يتيح لها صياغة قوانين عامة. وتحت عنوان: ماذا يستطيع الأدب؟ يروي الكاتب نفسه عن جون ستيورات – الممثل والكاتب والمذيع الأمريكي المشهور – أنه أصيب بانهيار عصبي فقد معه الإحساس بطعم الحياة وهو لا يزال في العشرين من عمره واستمر به الحال من التدهور حتى عثر على ديوان شعر للوردسورث، لقد وجد فيه الملاذ والمنقذ، لقد وجد فيه التعبير عن إحساساته الخاصة وقد تسامى بها جمال الأبيات " بدت لي منبعا منه أستقي الفرح الباطني، ومتع التعاطف والخيال، التي بمقدور كل الكائنات البشرية اقتسامها، كنت في حاجة إلى من يجعلني أحس أنه يوجد في التأمل الهادئ لأشكال الجمال في الطبيعة سعادة حقيقية ودائمة. ثم

يقول المؤلف تعليقا على القصة " لم أعش عذابات الانهيار العصبي لكني لا أستطيع الاستغناء عن كلمات الشعراء، وحكايا الروائيين "

وكثيرا ما تبرز الموهبة والميل إلى الشعر والكتابة منذ الصغر، كما حصل مع شاعر المعلقة لبيد: مهلًا أبيْتَ اللعنَ لا تأكل معهْ. وقصتها معروفة، وكما تجلت موهبة المتنبي في صباه أيضا وفي ديوانه الكثير من أشعار الصبا، وكذلك موهبة الموسيقي العالمي ياني، وكما تجلت موهبة الغناء لدى صوت الأرض طلال مداح رحمه الله، والكثير مما لا يخفى بالتجربة. وكما في قصة الروائية الإنجليزية المشهورة أجاثا كريستي والتي تعد أشهر مؤلفة روايات الجرائم في التاريخ، إذ قالت ذات مرة في إحدى رواياتها: كنت في الصف السادس الابتدائي أكتب قصصا قصيرة، أقضي بها على الفراغ، وكنت أعرضها على أمي، وكانت أمي تمتاز بقدر كبير من الجمال، فكانت تبتسم وتقول: أنت رائعة وما تكتبينه رائع لأنك ابنة أمٍّ جميلة.

وأنا قول هذا أيضا شفقة على أولئك الذين يزاولون مهنة الكتابة، وهم يفتقرون إلى الموهبة الحقيقية التي تمكنهم من إشعال جذوة الكلمات ونفخ الروح فيها، وإكسابها القدرة على مجاوزة الحدود، والسفر إلى البعيد. يقول شوبنهاور في كتاب فن الأدب عن أمثال أولئك الكتَّاب: والقارئ الحريص على وقته، حريٌّ بأن يلقي أمثال تلك الكتب جانبًا، لحظة أن تتكشّف له حقيقتها.

ومن المؤكد أن يطرح هذا السؤال التقليدي: هل بالإمكان الاستغناء عن الموهبة؟

والحقيقة أنه بالإمكان تعلم أي فن له قواعد وكتب وشواهد، لكنه يظل علما بلا نور! ولأضرب مثالًا على ذلك: فلنفترض أن أحدهم يحب الغناء، ولكن ليس له صوت جميل، وقلنا له: ادخل معهدا للموسيقى، وتدرب كثيرا على الآلات الموسيقية، واحفظ المقامات والموشحات، فهل بذلك سيحصل على صوت جميل؟ بالطبع لا. وكذلك كل فن له قواعده وكتبه وتراثه، يستطيع هذا الفن أن يمد صاحبه بالخبرة والثقافة الموسيقية، ولكنه لا يستطيع أن يمنحه الروح. فيكون الذي يقصد كتابة الشعر أو الرواية بعد كل ذلك كأشجار الزينة الصناعية، تبرق في العين، ولكن سرعان لا تنطفئ.

الكتابة حالة تتلبس الكاتب، فينفصل بها وجدانيا عن المكان، ويتحد كليًا بما وراء المادة، ويحلق في سماء غير السماء، ويمشي على أرض على الأرض، ويتكلم ويلوّح بيديه كالمجنون، وتقوم شخوص الأشياء والكائنات إليه، ماثلة بين يديه، كأنه مشعبذ يستحضر الأرواح. تماما كالحالة التي كانت تتلبّس الفرزدق عندما كان يجيش صدره بالشعر فتمتلأ بها روحه فيشعر بالضيق من البيت، فيأخذ راحلته ويجوب بها في الصحراء، فينهال عليه الشعر. وروي عن الشاعر بشار أنه كان إذا أراد أن يقول الشعر صفق بيديه ونفخ وبصق، وكشاعر المعلقة الحارث بن حلِّزة الذي ارتجل معلقته الطويلة في

مجلس الملك الجبار عمرو بن هند، وقد أخذته الحمية على قبيلته فأنشد مدافعا عنها ومفتخرا بها، وهو متكئ على قوسه لا يشعر بها من شدة الغضب:

آذَنَتَنا بِبَينِها أسماءُ .. رُبَّ ثاوٍ، يُمَلُّ مِنهُ الثَّواءُ

(2)

والكتابة النثرية كفنٍّ مرت عبر التاريخ بمراحل متعددة، وإن لم تحظَ باهتمام بالغ كما حظيَ الشعر من العناية والتقعيد. ولقد ألَّف أبو العباس القلشقندي (756 للهجرة) موسوعة صبح الأعشى والتي تعد بحق دائرة معارف خاصة بموضوع الكتابة وفنونها وأنواعها وتقنياتها، إذ بلغت الكتابة في عصره شأوا عظيما، فقد كان كاتب الديوان في زمنه يحظى بمنصب وزير في الدولة، مما أغرى الناس باقتحام هذا الميدان، فدخله الموهوب والمتصنع، والمطبوع والزائف، ولقد لاحظ القشقلندي انحرافا كبيرا في طريقة الكتابة وأساليبها وقواعدها لدى كتاب عصره، فرأى أن يضع كتابا جامعا لشروط هذا الفن وأصوله.

هل الكتابة حشد معلومات؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: لقد عمَّ مع انتشار قنوات التواصل، وكسر حاجز الرقابة في النشر، والاستهانة بموضوع المراجعة أو ما يعرف بالتحرير الأدبي أو التدقيق اللغوي، أقول لقد عمّ البلاء، وانتشر الفساد، فصرت تقرأ مقالة لكاتب ما مرة ومرتين وثلاث فلا تخرج بفائدة، ولا أظن الكاتب يدري ماذا يريد! وقد يريد أن يوصل رسالة مما رأى أو قرأ أو مما مرَّ به من تجارب، ويرى أنها جديرة بأن ينقلها للناس، ولكن المفردات لا تواتيه،

ولأن الألفاظ أوعية للمعاني، فقد يكون المعنى الذي يريده الكاتب شريفا، غير أن اللفظ الذي يختاره الكاتب لا يفي بالغرض، فترى الكاتب لكي يغطي هذا النقص يلف ويدور، ويعيد ويكرر، كأنه يريد ستة أشياء في وقت واحد كما يقول شوبنهاور. ويقول الزيات في كتابه: دفاع عن البلاغة: " ولا عجب والحالة هذه أن يكون حديث أولئك إلى قرائهم حديثا مبهمًا مفكك الأوصال يحار القارئ المسكين في فهمه، ويجهد ذهنه، على غير طائل في إدراك مراميه، لأنهم إذ يكتبون لا يفكرون إنما ينسخون. انتهى. ومع كثرة الدُّخلاء على الأدب، والجرأة على الكتابة الأدبية من رواية وقصة وشعر، دون امتلاك الأدوات الفنية المطلوبة لذلك، يقول الزيات أيضا: " فمجنَّة الأدب في هذه الأيام مرجعها أن كل من أعوزه المال يستطيع أن يجلس إلى مكتبه، ويدبج شيئا يبيعه، مادام الناس من الغفلة والغباء بحيث يشترون كل ما يطبع، ولقد كان من آثار تلك المحنة ضيعة اللغة، بعد ضياع الأدب. انتهى. والزيات يتوجع من ضياع الأدب في عصره هو كما كان ابن قتيبة صاحب كتاب أدب الكاتب يتوجع من ضياع الأدب في عصره، وزهد الناس فيه، وانصرافهم عنه، فكيف لو رأوا حال الأدب العربي في عصرنا؟

على شوقي الأمير تأمّلًا وحلمًا

لأحمد شوقي رحمه الله قصيدة طويلة في مدح النبي محمد عليه الصلاة والسلام. ارتأيت ونحن في يوم جمعة. أن أعرّج على ديوانه فأقتطف أبياتًا أربع نتأمل في جمالياتها ونحلق في فضاءاتها، كي تكون باقة صلاة وسلام. فإن للشعراء طرائقهم الخاصة في الدخول على محمد بالتحية والثناء.

يقول الأمير:

وأسـدتْ للبريـةِ بنـتُ وهـبٍ
يـدًا بيضـاءَ طوّقـت الرقـابا

لقَـدْ وَضَـعَتْهُ وَهَّاجًـا مُنِـيرًا
كَمَـا تَلِـدُ السَّـمَاواتُ الشَّـهَابَا

فقَـامَ علـى سَمَـاءِ البيْـتِ نُـورًا
يُضِـيئُ جِبَـالَ مَكَّـةَ والنِّقَـابَا

وَضَـاعَتْ يَثْـرِبُ الفَيْحَـاءُ مِسْـكًا

وَفَـــاحَ القَـــاعُ أرْجَـــاءً وَطَـــابَا

يتحدث الشاعر الأمير في هذه الرّباعية الشعرية إلى مقام النبوة .. فنراه يحشد كل ما في طاقته اللغوية والبلاغية علَّهُ يصعد إلى مقام البلاغة والفصاحة النبوية. فإنه لكل مقام مقال، ومقام النبوة المحمدية المنتهى في الجمال الأدبي فهو أفصح العرب صلى الله عليه وسلم. ولقد ألمح شوقي إلى ذلك بطرفٍ خفيّ فقال:

أبَا الزهْـرَاءِ قـدْ جَـاوَزْتُ قَـدْرِي

بِمَـــدْحِكَ بَيْـــدَ أنَّ لِيَ انْتَسَـــابَا

فَمَـا عَـرَفَ البلاغَـةَ ذُو بَيَـانٍ

إذا لَمْ يَتَّخِـــذْكَ لَـــهُ كِتَـــابَا

كما يتحدث الشاعر الأمير عن مقام النبوة أيضًا. فلئن كانت العظمة الخلقية والعبقرية الفكرية صفتان رفيعتان تشرئبُّ إليهما أعناقُ الأفاضل من الناس في كل جيل وأمةٍ مِن همّة عالية ونفس سامية وفكر مترفّع عن الدنايا وسفاسف الأمور إلى ما فيه صلاح المجتمعات، فإنه صلى الله عليه وسلم

قد تجاوز مرتبة العظمة والعبقرية إلى مرتبة هي أشرف وأعظم من كل مراتب الدنيا الأدبية والفكرية ألا وهي مرتبة النبوة.

يقول شوقي رحمه الله متحدثًا على سبيل الحكاية عن آمنة بنت وهب عليها السلام:

وأسدتْ للبريةِ بنتُ وهبٍ

يدًا بيضاءَ طوّقت الرقابا

اللغة: وأسدت والإسداء في اللغة الإحسان.

الصورة البلاغية: يلجأ الشاعر لإبراز أفكاره المجردة .. الغامضة في داخله، إلى قالب حسي فني وتشكيل لغوي جميل يخاطب في القارئ / المتلقي مداركه الحسية فتستثير تلك الأقاويل الشعرية خيالات المتلقي وتستفز خواطره وتحرك مشاعره سلبًا أو إيجابًا. وشوقي هنا كما نلاحظ أبرز فكرة "جوده" صلى الله عليه وسلم وكرمه في صورة حسية ترى بالعين وتحس بالجوارح، وهي اليد البيضاء. واليد البيضاء كناية عن السحابة البيضاء التي تهل على الربوع بالغيث فيعمّ الخصب وتزهو الأرض. فجود السحاب المطر وجود نبينا صلى الله عليه وسلم الهداية والمعرفة والخلق العظيم. وقد جرت عادة الشعراء منذ القديم أن يشبهوا عطاء الرجل الكريم بما تجود به

السحاب. فاليد البيضاء إذن صورة كنائية. وسرّ قوة الصورة الكنائية يكمن في تقوية المعنى وترسيخه عن طريق التلميح لا التصريح.

وأما قوله آخر عجز البيت: " طوّقت الرقابا " فمن المقرر أن النفس تنكسر لمن أحسن إليها فكأن الأمم كلها قائمة في هذا البيت ماثلة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم متطامنة .. متواضعة .. تغمرها ظلال الخجل. في مشهد خيالي مهيب.

فمعنى البيت: لقد أحسنت السيدة آمنة بنت وهب بأن أنجبت محمدا نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام. رحمة تتجاوز المحلية والقومية إلى العالمية والكونية. (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) آية الأنبياء. ولقد صدق شوقي. فإن لرسولنا الكريم مِنَّة في أعناقنا لا يعدلها أو يوفيها منَّا عمل حسن ولا قول جميل.

لَقَدْ وَضَعَتْهُ وَهَّاجًا مُنِيرًا

كَمَا تَلِدُ السَّمَاواتُ الشَّهَابَا

ثم يأخذنا الشاعر الأمير وقد استهوته ذكرى المولد، إلى أجواء السيرة العطرة، لحظة عبد المطلب وراء الباب ينتظر الخبر السعيد، والبيت يموج

بالحركة أجل: لقَدْ وَضَعَتْهُ وَهَّاجًا مُنِيرًا. إنه فلقة من القمر. تنفَّستْ وقت السّحرْ. إنه النسمة المباركة.

ثم يتماهى شاعرنا مع اللحظة الجميلة تلك. فينشط الخيال ويتجاوز جغرافيا المكان متجهًا إلى الفضاءات النورانية، فيقول على سبيل التشبيه. كَمَا تَلِدُ السَّمَاواتُ الشَّهَابَا.

وهنا يتناص شوقي مع قول الله تعالى في سورة الأحزاب في وصف نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام: (وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا).

الصورة البلاغية هنا: تشبيه. فالمشبه: آمنة بنت وهب.

المشبه به: السموات.

أداة التشبيه: كما.

وجه الشبه: الاشتراك في صفة ولادة النور. فالسماوات تلد نجوما لامعة وآمنة تلد محمدا عليه الصلاة والسلام أزهى وأنور.

وسر جمال التشبيه هنا: يكمن في تقوية المعنى وتوضيحه وجعله في المشبه (آمنة) أقوى منه في المشبه به (السموات).

ولقد صدق شوقي. فكيف كانت مكة قبل مولده عليه الصلاة والسلام؟ كانت مرتعًا للظلمات ومستنقعًا للغياهب.

ثم يستطرد خيال الشاعر، وقد أخذته قدسية التجربة:

فقَامَ على سَمَاءِ البيْتِ نُورًا

يُضِيئُ جِبَالَ مَكَّةَ والنِقَابَا

والشاعر في هذا البيت يتناص مع ما ورد في السيرة النبوية يوم ولادة نبينا الكريم وما اعترى والدته من شعور بالرضى. فذكروا أن نورا خرج من رحمها حتى بلغ السماء. والشاعر هنا في هذا البيت يكمل وصف لحظة ولادته الشريفة التي شرع في ذكرها من قبل.

أي فكان وجود محمد عليه الصلاة والسلام قمرًا أهل على شعاب مكة وجبالها وبطحائها بالنور السعيد.

وَضَاعَتْ يَثْرِبُ الفَيْحَاءُ مِسْكًا

وَفَـاحَ القَـاعُ أرْجَـــاءً وَطَـابَـا

اللغة: الضوع هو نشر رائحة الطيب.

الصورة البلاغية: لشدة ما تملك حب النبي صلى الله عليه وسلم واستولى على مشاعر وخيالات الشاعر فامتلأ به. رأى في ذيوع العطر ونشر المسك الطيب وعرف الأزهار والورود شبها كبيرًا بينه وبين محمد عليه الصلاة والسلام. فنبينا في حكمته التي هي مضرب المثل وحلمه الذي تجاوز وفاق قدرات البشر وفصاحته التي أعجزت الشعراء وبزّت البلغاء إنما تشبه في ذيوعها ونشرها روائح النسائم التي تضوع بروائح الطيب والغمام. ولا يخفى على المتأمل ما يشيعه ذكر لفظة " المسك " من راحة نفسية وشعور يجلب الطمأنينة. لقد كانت المدينة بشرا وحجرا وتربة يسكنها هذا الشعور الغامر بالأنس يدل على ذلك قول الشاعر: (وَفَاحَ القَاعُ أرْجَاءً وَطَابَا).

إذن! وعلى هذا النحو لاحظنا أن تلك الأبيات عبّرت تعبيرًا فنيًّا صادقًا في وصف لحظة ولادة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وما أعقب ولادته من خير ونصر وفتح. في لغة جزلة يحاكي بها طريقة القدماء في الكلام، وفي صور شعرية قوية ومترابطة كأنها لوحة فنية مترابطة الأجزاء. زاهية الألوان. كانت العاطفة جياشة عرفنا ذلك من خلال تداعي الخيال وقوة الصلة بين الأبيات.

عندما تصبح الكلمة مسؤوليَّة
عندما يُصبح الشِّعر قضيّة

عزيزي الطالب .. !! عندما يحمل الإنسان المتعلم .. الذي يعرف قيمة الوطن .. ما معنى وطن، وتراب الوطن، وكيف عليه أن يرد الجميل لهذا الوطن بأن يحمل قضيته .. أن يحبَّه .. أن يدافع عنه.. أن يبذل في سبيل نهوض وطنه أغلى ما يملك.

هنا نماذج من شعراء عرب .. حملوا همَّ القضية .. همَّ الوطن .. همَّ التغيير.. همَّ الشعب.. فأشعلوا النار في الكلمة، وأقضُّوا مَضَاجِعَ الطُّغاة. كلهم يقتدي بخليل الله إبراهيم عليه السلام .. لما ذهب إلى الطاغية النَّمرود في قصره، وصرخ بأعلى صوته: (الله يحيي ويميت؛ قال أنا أحيي وأميت، قال إبراهيمُ: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغربِ فبُهتَ الذي كفر) لما ذهب إلى معبد الأصنام .. فتناولها بفأسه، وعلق الفأس على عنق الصنم الكبير (فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون).

الطغاة اليوم كُثُر .. كما في مسلسل عثمان بالضبط .. داخل القبيلة يوجد أعداء .. هم منك .. من لحمك ودمك وتراه يُطبّع مع الأعداء ليقتلك!

يصوِّر البردُّونيّ هذه الحالة فيقول:

غـــــــزاةٌ لا أشـــــــاهدُهمْ
وســـيفُ الغـــزوِ في صـــدري

وَيسْتخفـــون فـــي جلـــدي
وَينْسلُّـــون مِـــن شَعـــري

وفـــوق وجوهِهـــم وجهـــي
وتحـــتَ خيولهـــم ظهـــري

غـــزاةُ اليـــومِ كالطَّاعـــون
يخْفـــى وهـــو يستشـــري

فظيـــعٌ جهـــلُ مـــا يجـــري
وأفظـــعُ منـــه أن تـــدري

لذا.. واجب علينا أن نكون أصحاب قضية .. حتى تكون دراستنا وطلبنا للعلم عبادة لله عز وجل.. طلبا نافعا لنا ولأمتنا.. لا من أجل حصول على وظيفة وأكل وشرب ونوم وكفى!

يقول شوقي:

وللأوطانِ في دمِ كلِّ حُرٍّ .. يدٌ سَلَفتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحَقُّ

هنا عندما يصبح الشِّعر رصاصة .. مقاومة .... رفض للظلم

عزيزي الطالب ..

مثل هذه النماذج المختارة من النصوص الشعرية كفيلة بأن تربِّي فيك ملكةَ الذوق والإحساس بالكلمة، ودورها في التغلغل في المشاعر الإنسانية، والتعبير عنها بجمال وقوة.

فإليك:

قلم للشاعر العراقي أحمد مطر

جسَّ الطبيبُ خافقي وقال لي:

هل هنا الألم؟؟

قلتُ له: نعم

فَشَقَّ بِالمشْرطِ جَيبَ مِعطفي وأخرج القلم!!

هزَّ الطبيبُ رأسه.. ومالَ وَابْتسمْ

وقال لي: ليس سوى قلم!

فقلتُ: لا يا سيدي

هذا يدٌ ...وفم

ورصاصةٌ.. ودم

وتهمةٌ سافرةٌ.... تمشي بلا قدم !

قصيدة عباس للشاعر أحمد مطر

عباسُ وراءَ المِتراس،

يقِظٌ مُنتبهٌ حَسَّاسْ،

منذ سنين الفتحِ يُلمِّع سيفه،

ويُلمِّع شاربه أيضا، منتظرًا محتضنًا دُفَّهْ،

بلعَ السارق ضفَّة،

قلَّبَ عباسُ القرطاس،

ضرب الأخماس بأسداس،

بقيت ضفَّة

لملم عباس ذخيرته والمتراس،

ومضى يصقل سيفه،

عبر اللص إليه، وحل ببيته،

أصبح ضيفه

قدّم عباس له القهوة، ومضى يصقل سيفه،

صرخت زوجة: "عباس

ضيفك راودني، عباس،

أبناؤك قتلى، عباس،

قم أنقذني يا عباس!"

عباس ـ اليقظ الحساس ـ منتبه لم يسمع شيئا،

زوجته تغتاب الناس

صرخت زوجته: "عباس، الضيف سيسرق نعجتنا"،

قَلَّبَ عباسُ القرطاس

ضرب الأخماس بأسداس،

أرسل برقية تهديد،

- فلمن تصقل سيفك يا عباس؟
- لوقت الشِّدَّة
- أُصقل سيفك يا عباس!

محمود درويش عيون الموتى على الأبواب

مرُّوا على صحراء قلبي، حاملين ذراع نخلة

مرّوا على زهر القرنفل، تاركين أزيزَ نحلة

وعلى شبابيك القرى رسموا، بأعينهم أهِلَّه

وتبادلوا بعض الكلام

عن المحبة والمذّلة

ماذا حملت لعشر شمعات أضاءت كفر قاسم؟

غير المزيد، من النشيد، عن الحمائمِ

والجماجم؟

هي لا تريد ولا تعيد

رثاءنا .. هي لا تساوم

فوصية الدم تستغيث بأن تقاوم.

في الليل دقوا كلَّ بابْ

كلَّ بابٍ .. كل باب

وتوسَّلوا ألا نهيل على الدّم الغالي التراب

قالت عيونهم التي انطفأتْ لتشعلنا عتاب:

لا تدفنونا بالنشيد، وخلدونا بالصمود

إنّا نسمِّد ليلَكمْ

لبراعم الضوء الجديد

يا كفر قاسم!

من توابيت الضحايا سوف يعلو

عَلَمٌ يقول: قفوا! قفوا!

واستوقفوا!

لا: لا تذلُّوا!

دَيْنُ العواصف أنت قد سَدّدته،

وانْهار ظِلُّ

يا كفر قاسم!

لن ننام .. وفيك مقبرة وليلُ

ووصية الدم لا تساوم

ووصية الدم تستغيث بأن نقاوم

أن نقاوم..

أسطورة مهداة إلى الحكم العسكري. للشاعر الفلسطيني سميح القاسم

وشَعوذَ السَّاحرُ فانطلقْ

من قُمقُمِ البحار.. ماردٌ صغير

يريد للزورق.. أن يقبّل الغرق

يريد للحريّة الحمراء

أن تقطن في كوخ.. من الورق

يريد للجذور أن تحيا بلا شجر

يريد للأشجار أن تحيا بلا ثمر

يريد للإنسان أن يموت في الحياة!

يريد أن...

وانفجر البركان!

والتهمت ساحِرَهُ النيران

فعاد للقمقمِ يستجير

بساحرٍ جديد

بساحرٍ.. ليس له وجود

ثلاثية "أطفال الحجارة" لنزار القباني

2009/1/4

بهروا الدنيا

وما في يدهم إلا الحجارة

وأضاؤوا كالقناديل

وجاؤوا كالبشارة

قاوموا

وانفجروا

واستشهدوا

وَبَقِينا دُبَبًا قُطْبِيَّةً

صُفِّحتْ أجسادُها ضدَّ الحرارة

قاتَلوا عنا

إلى أنْ قُتِلوا

وَبقِينا في مقاهينا

كبَصَّاق المحارة:

واحدٌ

يبحث مِنَّا عن تجارة

واحدٌ

يطلبُ مليارًا جديدا

....

واحدٌ

يبحث في لندن عن قصرٍ مُنيفٍ

واحدٌ

يعملُ سِمسارَ سلاحٍ

واحدٌ

يطلب في البارات ثارهْ

واحدٌ

يبحث عن عرشٍ وجيشٍ

وإمارة

آهِ يا جيلَ الخيانات

ويا جيلَ العمولات

ويا جيل النِّفايات

...

سوف يجتاحك -مهما أبطأ- التاريخُ

أطفالُ الحجارة

يا أحبَّاءنا الصغار

سلاما

جعلَ اللهُ يومكم

ياسمينا..

مِن شقوقِ الأرضِ الخرابِ

طلعتمْ

وزرعتم جراحنا

نَسْرينا..

هذهِ ثورةُ الدَّفاترِ

والحِبرِ

فكونوا على الشِّفاهِ

لحونا..

أمطرونا

بطولةً وشموخًا

واغسلونا مِن قُبْحنا

اِغسلونا..

...

إنَّ هذا العصرَ اليهوديَّ

وَهْمٌ

سوف ينهار

لو ملكنا اليقينا.

يا مجانين غَزَّة

ألفُ أهلًا

بالمجانين

إنْ همُ حَرَّرونا..

إنَّ عصرَ العقلَ السِّياسيِّ

وَلَّى مِن زمانٍ

فَعلِّمونا الجنونا

إلى وطني محمد محمود الزبيري

أضــلَّني وهْــمُ شِــعرٍ كنــتُ أنســجهُ
سِــحْرًا يُحــوِّل قلــبَ الصَّــخرِ ألحــانا

وهـالني شُـؤمُ مـا استكشـفتُ مِـن جثثٍ
قـد كنـتُ أحسـبُها مِـن قبـلُ تِيجـانا

فرحـــتُ أشـــعلُ بالقيثـــارِ مقـــبرةَ
المــوتى .. وأنفــضُ أغــلالًا وأكفــانا

أصـــبو إلى أمَّـــتي حبًّـــا وأبعثُهـــا
بعثًـــا وأبـــني لهـــا بالشِّـــعر بنيـــانا

أصــوغ للعُمــي منــه أعينًــا نُزِعــتْ
عـــــنهم وأنســـــجه للصُّـــــمِّ آذانا

ومــا حملــتُ يراعــي خالقًــا بيــدي
إلا ليصـــــنع أجيـــــالًا وأوطـــــانا

يخالـــه الملـــكُ السَّـــفَّاحُ مقصـــلةً
في عنقـــه ويـــراه الشـــعبُ ميـــزانا

فهـــاكِ يا أمـــتي روحًـــا مُدَلَّهـــةً
عصـــرتُها لخطـــاكِ الطُّهـــرِ قـــربانا

كأسًـا مـن الشِّـعر لـو تُسـقى الشُّـموسُ بهـا
ترنَّحـــتْ.. ومشـــى التَّـــاريخُ ســـكرانا

كفرٌ وإيمان محمد محمود الزبيري

كفرتُ بعزمتيَ الصَّامدهْ

وقدْسيَّةِ الغضبةِ الحاقدهْ

وأنّاتِ قلبيَ تحتَ الخطوب!

وأحلامِه الحيّةِ الصَّاعدهْ

وعمرِ شبابٍ نذرتُ بهِ

لشعبي وأهدافهِ الخالدهْ

وبالشهداء وأرواحهم

تُراقبني مِن علٍ شاهدهْ

إذا أنا أيَّدتُ حكمَ الطُّغاةِ

وَهَادنتُهمْ ساعةً واحدهْ

كفرتُ بعهدِ الطّغاةِ البغاة

وما زخرفوهُ وما زيَّفوهْ

وَأكْبَرْتَ نفسيَ عنْ أنْ أكونَ

عبدًا لطاغيةٍ توَّجوهْ

وعن أنْ يرانيَ شعبي الذي

يُعذَّبُ عَوْنًا لمن عذّبوهْ

أأجثو على ركبي خاشعًا

لجثَّةِ طاغيةٍ حنَّطوهْ؟

أألعُقُهُ خنجرًا ... قاتلًا

لشعبي وأُكثر فيه الوُلُوهْ

أنا ابنٌ لشعبي أنا حقدُهُ ..

الرَّهيبُ أنا شِعرهُ أنا فُوهْ

أتعنو لطاغيةٍ جبهتي ؟

فمن هوَ؟ من أصله؟ من أبوهْ؟

سأمضي ... عنيدًا فلا أنثني

وأحيا كريمًا فلا أنحني

وأرفع نحو السَّما جبهتي

كما ارتفعتْ جبهةُ المؤمنِ

أموتُ خميصًا! ولا أقبلُ الفُتاتَ

مِنَ القاتلِ المحسنِ

أأطعَمُ مِن قاتلٍ أمَّتي

أرى الدَّمَّ في كفِّهِ المنتنِ؟

يُقدِّمُ لي طُعم شِلوٍ شهيد

من إخوتي لحمُهُ أو بَني

تكادُ الُّلقيْماتُ مِن لحمهِ

تقول لآكلها: خُنتني !

فلا نبضتْ نخوةٌ في دمي

ولا عِزّتي شرفُ الموطنِ

إذا حُدتُ عن مبدئي أو رضِيت

بعيشٍ مِن العار مُسْتهْجَنِ

درس في التعبير

ما هو التعبير؟

أن يكون لديك فكرة عن أي شيء ما أو لديك شعور تجاه شيء ما، وترغب أن يشاركك الناس هذا الشعور.

الإبانة عن مكنونات النفس

كيف أقنعك بما أحس، كيف أجعلك تحب فكرتي، كيف أجعلك تنظر إلي بتقدير.

معوقات التعبير:

ضعف الثقة بالنفس

ضعف الثراء اللغوي

عدم الإلمام بالموضوع

ضعف الذكاء العاطفي

ضعف الخيال

الجهل بطرق التعبير

فوائد التعبير الكتابي:

1- الشعور بالمتعة.
2- التواصل مع العالم.
3- إثبات وجودي (أنا هنا).
4- إيصال قضيتك للآخرين (الزبيري، البردوني، محمود درويش).
5- الأوطان تتفاخر بكتابها فقد تكون ممن يفخر به وطنه مدى الزمان.
6- تكوين صداقات جديدة.

وعن تجربتي شخصية .. فقد أناس كثير يعرفونني من خلال مشاركاتي في المهرجانات الشعرية ويتواصلون معي وأنا لا أعرفهم.

خطوات التعبير الكتابي:

تحديد الموضوع

ما الذي تريد أن تحدثنا عنه؟

تطبيق عملي

تخيل أننا في حديقة أو أننا على الشاطئ في ليلة صيفية ونحن نستمع إليك باهتمام كبير وأنت في يدك الورقة تلقي علينا ما كتبته من أفكار ومشاعر وأحاسيس. وكان الموضوع الذي ستحدثنا عنه هو العودة إلى المدارس.

فكيف ستبدأ؟

ستتحدث عن نفسك. مثال: (أهلا بكم، أنا هنا لأحدثكم عن مشاعري تجاه العام الدراسي الجديد. هو في الحقيقة يوم مختلف وأعتقد أنه سيكون عاما دراسيا جميلا. كأنكم تسألونني لماذا سيكون كذلك؟ لقد تعودنا دوما أن نذهب إلى المدارس صباحا، فتمتلئ الشوارع بالسيارات، وشكا إليّ بعض أصدقائي أنه يصل إلى المدرسة من شدة الزحام بعد ساعة من بدء الحصة! بل إن بعض الطلاب عند وقت الامتحانات يسافرون من دولة إلى دولة. أقصد بعض الطلاب الذين يقيمون خارج ماليزيا، وعند الاختبار يضطرون لأن يذهبوا إلى مكاتب طيران، فيحجزون تذكرة للسفر، وسيضطرون بالتالي لأن يستأجروا فندقا، والفنادق في ماليزيا غالية. لذا، فالدراسة عبر المنصة الإلكترونية ستكون أفضل للجميع.

لكن؛ هل من الجميل أن أقرمش الطعام، والأستاذ يشرح الدرس لا يدري من أين تصدر تلك الأصوات؟!

تقسيم الموضوع

1. مقدمة (ديباجة).
2. عرض
3. خاتمة

المقدمة من خصائصها:

البساطة جدا – تشويقية – ممكن تبدأ بسؤال – أو تتوجه إلى القراء بالحديث كأن تقول: دعوني أحدثكم اليوم عن قصة حدثت لي في المول...

خصائص العرض:

الانطلاق في الكتابة كأنك تتحدث إلى نفسك. كأنك شاهدت فيلمًا وتود أن تحدثنا عنه.

الخاتمة

هي عبارة عن نتائج أو تلخيص لفكرتك أو تسجل انطباعك النهائي عن الموضوع أو تتركه مفتوحًا.

دخلت على طلابي الثالث الثانوي / اللغة العربية أهيئهم لعام دراسي جديد.. كان الموضوع عن النحو .. والطلاب يكرهون النحو .. فابتكرت لهم هذه الطريقة.

التعبير: الكتابة الإبداعيّة

الكتابة الإبداعية هي التي يُمكنها التعبير عن الفِكَر، والأفكار في صورة خيالية؛ فالكتابة الإبداعية هي فن صناعة الأشياء، واختلاقها، وهي الفن الذي يقوم الكاتب من خلاله بوضع شيء من الإبداع على التاريخ، ومن أبرز الأمثلة على هذا هي القصص الخيالية الإبداعية؛ فمن خلال الكتابة الإبداعية يخرج الكاتب من الحالة الواقعية، إلى حالة جديدة مستوحاة من المعاني العقلية.

الكتابة الإبداعية إحساس ..فن .. الكتابة التي تعكس جمال الفكر الإنساني .. تعكس رقي الروح التي بين جنبيك .. الكتابة الإبداعية رفض للواقع المزري .. ثورة على الظلم على التهميش ثورة على التطنيش.

الكتابة الإبداعية هي أساس الأعمال الخالدة التي لا نزال نتذكرها.. والتي لا تزال تعيش في عقولنا .. نتذكر رواية علي أحمد باكثير وا إسلاماه .. والتي تعد من أجمل الروايات التاريخية الإسلامية .. تلك التي تتحدث عن الفترة التاريخية والتي كان فيها انتقال الحكم من الدولة الأيوبية إلى دولة المماليك

وغزو التتار لبلاد الإسلام، وما تخلل ذلك من أحداث، والتي تدور الأحداث فيها على عدد من الشخصيات، كانت أبرزها شخصية محمود، والذي عرف فيما بعد بقطز وحبيبته جلنار والتي كان اسمها جهاد.

كما نتذكر فلم الرسالة الذي قام بكتابته الروائي المصري عبدالحميد جودة السحار، والذي يصور في هذا الفلم العالمي حياة البعثة النبوية، ومقدماتها وأسبابها وسياقاتها التاريخية .. كما نتذكر عمر المختار البطل الليبي المجاهد المسلم الذي أرعب الاستعمار الايطالي وهو مع مجموعة من أصحابه على الخيول، والذي قال كلمته الشهيرة: لئن هزم مدفعكم سيفي.. فلن يهزم باطلكم حقي".

كل تلك الأعمال وغيرها من مسرحيات لشكسبير مثلا كما في مسرحيته الشهيرة هاملت .. يوم قتل أبوه غدرا من قبل أخيه، ثم كيف زار طيف الملك المقتول أحد الحراس ليلًا .. وإذا بالحارس يرتعب .. ثم يأتي هاملت ويستمع لقصة الشبح وتدور بينه وبين الشبح مطاردات يفهم من خلالها أن أباه قتل مظلوما وأن القاتل هو عمه! الذي أخذ الملك منه. وتدور الرواية والأحداث في عرض متسلسل وشيق.

كل تلك الأعمال وغيرها كانت نتاج الخيال المبدع .. قامت بترجمته الكتابةُ الجميلة في أسلوب يشد القارئ، ويجذب الانتباه، كأن الكاتب فيها يمارس

عملا من أعمال السحر والغواية. والغواية هنا غواية فنية تسمى في المصطلح الحديث في مجال الرواية بـ غواية السرد. ويضربون لذلك مثلا بقصة ألف ليلة وليلة. يوم كان الملك شهريار يتزوج كل يوم فتاة ثم يقوم بقتلها في اليوم التالي .. لأنه تعقد من النساء، وتأثر لما أصاب أخيه من ألم خيانة زوجته. وإذا بفتاة تدعى شهرزاد تأتي بحيلة ذكية. بعد أن قرر الملك بالزواج منها. لم يستطع الوزير أبوها أن يرفض، وفي نفس الوقت كان بوده أن يقول: لاااا بأعلى صوته .. فهو لا يريد لابنته أن تموت .. لكن البنت تقول لأبيها: وافق.. ثم تدور الحكاية .. كانت معها أخت صغيرة طلبت منها أن تدق عليهم الباب كل عشية، فتقول باكية: أرجوك يا أختي قصي علي قصة قبل أن أذهب إلى البيت فقد تعودت على قصص النوم منك .. فتطلب الإذن من الملك .. فتقوم بسرد قصة مشوقة، لكنها تتركها مفتوحة فلا تكملها، فيتحرق الملك لسماع البقية، فيأتي اليوم التالي مقررا في ذاته عدم قتل الفتاة حتى يستمع لبقية القصة! فإذا جاءت الليلة الثانية قصت شهرزاد القصة بعرض مشوق، غير أنها تفعل ما فعلته في الليلة السابقة، فلا تكمل القصة، فيتحرق الملك لسماع البقية، ويأتي اليوم الثالث فلا يقتلها .. وهكذا استمرت حتى قامت بسرد ألف قصة في ألف ليلة .. سرد مليء بالسحر والخرافة والعفاريت والنسور التي تتكلم مع البشر! من خلال امتلاك شهرزاد

فن القصّ الشيق والساحر .. استطاعت أن تغوي الملك عن المضي في القتل، فأنقذت نساء المدينة.

نتذكر أيضًا قارئة الفنجان وهي تصدح على شفة العندليب الأسمر والتي يعبر فيها نزار قباني عن قضية فلسطين يوم احتلها العدو الصهيوني.

كل تلك الأعمال وغيرها هي في الأساس من وحي القلم. تهيب بنا تلك الأعمال أن نجاريها أن نحاكيها أن نكتب مثلها .. أن نبدع وأن نستمتع وأن نقدم أعمالا إبداعية جميلة. وكل هذه الأعمال الإبداعية الجميلة كانت لها أرضية ولا بد أن تقوم عليها .. تلك الأرضية هي قواعد النحو.

والآن .. ومع الدرس الأول: المفعول المطلق.

القراءةُ المُلهَمَة

كثيرًا ما ينعق الكسالى أو أصحابُ التَّصوّر الفاسد في وجوه القرَّاء أو روَّاد المكتبات: التطبيقُ أوَّلًا! لقد أمِنُوا التَّبِعةَ، وتخفَّفوا من الحمل، واستلقوا على ظهورهم في المساجد ينتظرون الجنّة! وقد علموا أن السّماء لا تُمطر ذهبًا كما قال الفاروق رضي الله عنه.

لقد توهَّموا أن الخلودَ تكية أوراد، ومسبحة من ياقوت!

كنت أفكر فيما وراء هذا التطبيق الذي يهرفون به؛ فلم أظْفر بسببٍ سوى الخواء المظلم. إن الكسل عمليّة معقَّدة؛ أشبِّهه بسواد الكربون الذي يلتحف محرَّكَ السيَّارة.

يطفح من أعماق الخواء الذي يكتنف المتعبينَ رمادٌ كثيف، يغشي العينَ الباصرة، ويعثر بالعزائم.

ولذلك كان رسولنا الكريم يستعيذ بالله صباح مساء من شر هذا الداء النفسي الكئيب "وأعوذ بك من العجز والكسل".

لقد ظلموا أنفسهم حتى استمرؤوا السكونَ البارد، والقاعَ الدّاكن.

تلك المناطق المظلمة من النفس لا تنبض فيها حياة، ولا يستفزها طموح إلى الحياة.

القراءةُ مشفوعةٌ بشغفٍ هي الخطوة المثلى لتغيير دفَّة الأقدار، وقصْرها على الاتجاه الحضاري الصحيح.

إن انتقال الإنسان من المرحلة البدائية وهي مرحلة الأمَّيَة إلى مرحلة التنوير وهي أوّل مسكة قلم، والانتقال بحروف المباني إلى حروف المعاني .. من الإفراد إلى التركيب هو الولادة الحقيقة للإنسانِ.

كلما تراءى لي الكتاب، انفتحت لعينيَ نافذةٌ متوهجة إلى التاريخ، فرأيت الورَّاقين يعدُّون الأوراق، ويبرون المراسمَ، وترامى إلى مسمعي صوت أحدهم، وقد تلطَّخت بمداد الأقلامِ ثيابُه الثّمينة:

إذا ما المسكُ طيَّبَ ريحَ قومٍ كفاني ذاك رائحةُ المِدادِ

فما شيءٌ بأحسنَ مِن ثيابٍ على حافاتها حِممُ السُّوادِ

الله! كم كان للقراءةِ من مكانةٍ عند عباقرة الإسلام!

لا تسأل نفسًا يغمرها الضوء لم تحبّين النهار؟!

إن في النفس السّوِيّة التي جمَّلها الله بأنواره الصافية، عشق للكمال، والتجاوز إلى اللامألوف، والتحرر من غلاف القشرة، والالتصاق بأجنحة البهاء العطرة. ولا سبيل إلى ذلك إلا بـ: (اِقرأ) حتى تسلم من وحشة الأسئلة المصيرية: من أين جئتُ؟ ولماذا جئتُ؟ وإلى أين المصير؟ عليك أن تقرأ حتى تقف على مكامن الضعف لديك، ومواطن العيوب والعثرات، وأماكن الجراح والعقد النفسية وما إلى ذلك مما يشّكل قيودًا تمنعك عن الحركة؛ عليك أن تقرأ حتى يخلص تفكيرك من المستعمرات الفكرية؛ نتيجة القراءة الطويلة في الكتب، فتحصل على بصمتك وأسلوبك الخاص في التفكير والكتابة؛ عليك أن تقرأ حتى تنفلت من ربقةِ آراء الناس السلبية حولك؛ وربقة العادات السيئةِ نتيجة ما درجت عليه في بيئتك أو مجتمعك؛ عليك أن قرأ.

القراءةُ عملٌ صالح، وقيامٌ بأمر الله الذي قال أوَّل ما قال في القرآن الكريم: (اِقرأ. باسمِ ربّك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اِقرأ وربك الأكرم. الذي علَّم بالقلم. علَّم الإنسان ما لم يعلمْ).

القراءةُ قيامٌ بواجبٍ تربويَّ؛ قال تعالى: (ونفس وما سوّاها. فألهمها فجورَها وتقواها. قد أفلح من زكَّاها وقد خاب من دسَّاها) وليس كالقراءة طُهرةٌ وزكاةْ، وصحوةٌ ونجاةْ؛ فالنفسُ بالقراءة تسمو عن الدّنايا؛ وتترفع عن الأحقاد، واجترار الأذى على الناس، فتشعر بنسائم القرب، ولذائذ التوفيق.

القراءةُ قيامٌ بواجبٍ وطني؛ فالوطن الذي غَذَاك من نمير مائه، وأشجاك بأصوات بلابله، وغمرك بأشعة أمدائه، يطلب منك أن ترد عنه كيد الكائدين من ألدّ أعدائه في أحلك ما يمر من ظروف تاريخيّة!

إنَّك ترفع عينيك إلى السماء؛ فترى أضواء الحضارة تشع من أنحاء المعمورة؛ ما عدا وطنك الحزين! سيطرت على مراكز القرار الحقارات، فساعدت على نشر الأمية؛ كي تستمر باستنزاف ثرواتك، وتشويه التاريخ كي تستمر في استعبادك، وتشويه العلماء كي تستمر في تزييف وعيك فمن حق وطنك عليك أن تنفض عنه أصداء التخلّف، وأن تسارع في يقظته وتقدميّته، ولا يتأتَّى ذلك إلا بالوعي، والقراءةُ جادّة الوعي.

القراءة قيامٌ بواجب إنساني، فالإنسانية وما يشيع فيها من فلسفات جمالية وفكرية تعتزم البقاء على الأرض في رخاء وسلام، فالعقول تكافح طويلًا في ليل المعرفة وتكدُّ فما يؤمّن لها الاستقرار، والانتصار على المجهول.

يا شعرُ .. يا تاريخُ .. يافلسفة * من أين يأتي قلقُ المعرفة؟! (البردُّوني)

ومن هنا عليك أن تكون رافدا للفكر، ورسولا للجمال، وحافزًا للتأليف، وباعثًا للتجديد وليس غير ذلك، لذا عليك بالقراءة.

القراءةُ روضة السَّعادة.

يتفرَّع من غصون القراءة المِلهَمةِ غصنان:

الإبداع + موقف أخلاقي.

العمل الإبداعيُّ من قصة وشعر ورواية وخاطرة، ومن خطبة بليغة كذلك، ما هيَ إلا خبرات متراكمة في اللاشعور؛ مكتسبة من خلال السياحة بين الكتبِ، تقليبًا وتأمّلًا ومناقشة. عملت أيادي الأيام على رصفها باحتراف وذكاء، حتى إذا ما اشتدَّ صُلبُ اللغة، ورفَّتْ أجنحةُ الخيال، وتكامل سياق النهوض لديك من نضجٍ واستشعارٍ لأهمية الكلمة، تدفقت الفكرة، وجاشت بها النفس، فانفجرت على السطور منسجمةً، متوائمةً، حارّةً؛ كأنها قصيدةٌ متوهِّجة.

إن الكتابة الفنية والأسلوب السرديَّ البليغ؛ مراحلُ متقدمةٌ من التفكير العالي، كما أن المدنيَّة مرحلةٌ متقدّمة من الكفاح الوطنيّ الدَّؤوب.

وكونك وراء مكتبك أو على متكئكَ؛ تهز على السطور قلمك؛ منافحا عن قضيّة أو مدافعًا عن مظلوم؛ فأنت تقوم بأشرف أنواع العبادةِ لله عز وجل.

روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع).

والقراءة الملهَمة المشفوعة بشغفٍ إلى الكمال؛ لابد وأن نورا من الملأ الأعلى ينسرب إلى القلب خلالها، فيثمر ذلك تواضعا للمعرفةِ واستشرافًا لمتثُّلِ الحقيقة، والفناء في ذرَّاتها الأبدية.

كلُّ ذلك أسمى ما في التطبيق من معنى، وأنزه ما في التطبيق من قيم. فمن أولى بالتطبيق يا أعداء القراءة؟

ماليزيا

11 يناير 2022

عليك السلام ياهِرمان!

يفخر الكثير من القرّاء بأنهم ديدان كتب! فما من رواية في قديم أو حديث إلا وقد التهمتها عيونهم التهامًا. وليس في هذا من بأس، وليس من أجل هذا كتبت. ولا أفرض ذوقي على أحد، ولكن عليَّ أن أعترف أني قرأت أيضا الكثير من الروايات ولكني لست " دودة روايات " إن الغرض من الرواية وأساليبها الفنية وأحداثها المختلفة .. الحقيقة الإنسانية!

فعندما أقف على فلسفة كفلسفة الحياة والموت أو كفلسفة الجمال في رواية كرواية " أحلام الناي " فهي في الحقيقة ليست مجرد أسلوب أو لغة أو خيال جميل وإنما هي حقائق تتعلق بالوجود. تتعلق بأعماق التجربة الإنسانية .. أقف مشدوهًا يلفُّني الصمت مطرقًا في التفكير.

قرأت رواية أحلام الناي في صغري .. وقرأتها في الثلاثين من عمري .. وها أنا في منتصف الأربعين أعود لقراءتها ثانية؟

سألت نفسي لماذا؟ هلا تساءلتم معي؟ لماذا تدفعنا أعماقنا لقراءة قصيدة أو قصة أو كتاب ما .. كنا قد قرأناه من قبل؟

أهي الحاجة للفن؟

ولكن الجديد من المعارف والروايات لم ينته!

أهي الحاجة إلى المراجعة؟

قد يكون ذلك أحد الأسباب. لكنه بالطبع ليس بالسبب الأهم.

بعد أن فرغت من قراءة رواية " أحلام الناي " وجدت أن عليّ أن لا أترك هذا الوهج الإنساني الذي تلبَّسني يمضي بسلام.

تبدأ " أحلام الناي " بـ :"قال أبي" .. يتحدث الغلام .. أن أباه أعطاه نايًا خشبيا صغيرا وأمره أن يذهب في جولة للعالم متخذا من تلك الآلة الموسيقية، وسيلة للمعرفة والكشف وزرع الابتسامة ونشر الأمل.

ثم يشرع في وصف الطريق بين الغابات من بيته إلى النهر الذي سيسافر عبره إلى العالم. يبتسم الغلام وتغمره السعادة عندما بدأ يشعر أن نحلة حطت على معطفه. قال في نفسه: " الحمد لله سأجد رفيقا معي من البيت " وهو في الطريق يجد فتاة في مثل سنه تحمل سلة طعام .. يتعرف عليها ويدور بينهما حوار طفولي .. ثم تطلب منه الغناء .. فيغني عن الطيور والنحلة التي وقعت على معطفه ثم ما لبثت تلك النحلة أن طارت في خط مستقيم عائدةً إلى البيت، وعن فتاة صغيرة تحمل سلة طعام واسمها

"بريجيت". فتضحك الفتاة .. وتطلب منه وقد جلسا تحت شجرة كبيرة أن يغني لها عن الحب فيغني لها .. ثم تودعه بعد أن تركت في قلبه أثرا جميلا. حتى إذا وصل النهر وجد قاربًا في انتظاره .. أخذته الدهشة! كان القارب كأنه بانتظاره! رغم أنه لم يطلب قاربًا!

وجد على القارب عجوزا .. فلم يستوحش أحد من الآخر .. ركب الغلام القارب دون أي حديث .. وانطلق القارب دون أي سؤال!! وبينما النهر يترنح بالقارب يدور بينهما حوار عن الغناء وعن العالم، طلب العجوز من الغلام أن يغني فغنى الغلام عن النهر والظلال والغابات والجبال .. عن البيت.. عن النحلة حطت على معطفه.. عن الفتاة بيدها سلة طعام..

لكن العجوز لم يتأثر بما سمع! أشار العجوز إلى الناي، فأعطى الغلام الناي للعجوز، وضع العجوز الناي بين أصابعه؛ ورفعه برفق تجاه فمه .. وإذا بالناي يتحول على يد العجوز إلى ذلك البوح الإنساني الآسر الشفاف .. نفخ العجوز برفق.. وإذا بالغابات والجبال كأنها من جمال الصوت قامت تمشي تلاحقهما خلف القارب.. تسمّر الغلامُ مكانه! وتيقَّن أن أغانيه الماضية على الناي، إنما كانت كلها عبارة عن أغان طفولية، وأن الحياة طويلة وقاسية! وإلا فما سر هذا الغموض والعمق الذيْن انبعثا من الناي على يد العجوز تلك الساعة؟

أعاد العجوز الناي ...

... ثم يأخذ المؤلف في وصف تلك المشاعر الجياشة وصفًا شعريا رومانسيا أخاذًا .. فإذا بك ترى شخوص الطبيعة وسحرها ماثلة أمامك تنبض بالحياة.

وعندما أدركهما الظلام .. سأل الغلام: إلى أين الوجهة؟ فقام العجوز من مكانه قائلا بعزم: هذا سؤال سخيف! عليك الآن يا بنيّ أن تجلس مكاني فتتولى القيادة. أخذ العجوز المصباح واتجه ناحية الغلام، وقام الغلام متجها إلى دفَّة القارب، وبينما العجوز يناول الغلام المصباح أخذ يتفرّس وجه الغلام .. ويطيل النظر! ثم جلس! وعندما تهيأ الغلام ليستلم زمام الأمور، ألقى نظرة خاطفة خلف القارب .. فحدث ما لم يكن بالحسبان!!

لقد اختفى العجوز!

ورغم ما في ذلك الموقف من وحشة وخوف إلا أن الغلام كان يقول: "كنت أتوقع ذلك"! فلم يستغرب! وقرر المضيّ وحده. وبينا هو يقود القارب .. مال برأسه على صفحة النهر قليلا والمصباح في يده، فرأى في تلك المياه السوداء وجهًا قد أنهكته السنين .. متجعدًا .. كثيف اللحية! رمادي العينين .. أبيض الشعر؛ فعلم ساعتها أن بيته والنحلة التي حطت على معطفه من قبل والفتاة الصغيرة "برجريت" .. لم يكن كل ذلك سوى

ذكريات كالأحلام قد انقضت، وأنه لا يزال على النهر ذاهبًا آيبًا .. راحلا أبدا!

خاتمة فيها من الشجن ما فيها .. تنم عن مدى ألم الفنان في هذه الحياة العريضة وما يكابده من معاناة .. بحكم أن آلة الناي تمثل الجانب الروحاني في الإنسان .. الدعوة إلى الطهر والفضيلة والنقاء .. في عالم مادي .. قاس.. يتواضع للحيوان وينتهك حرمة الإنسان .. عالم يسوسه روحٌ شرير.. يتَّجِر بالحروب وبالنساء ويدعو إلى القبح والرذيلة .. مضلِّلًا الناس بشعارات زائفة باسم الديمقراطية والمدنية .. عالم ظالم .. لا يرحم .

قلت في نفسي: طالما والكاتب يريد من وراء هذه الأحداث أن يفلسف معنى الحياة والموت ..وهو يملك هذا البيان والجمال اللغوي والذهن الصافي الناصع .. فلماذا لم يعرض تلك الأفكار والآراء في مقالة أدبية أو صحفية؟ لماذا لجأ للتعبير عن تلك الأفكار إلى الفن؟

لأن للفن من الخصائص الجمالية والظلال النفسية، ما لا يقدر عليه الأسلوب العلمي أو الأكاديمي .. استعان بالفن وجعله وسيطا لتلك الأفكار.

ولكن الكثير من الفنانين أو الشعراء أو الروائيين يملكون القدرة على التعبير بما يملكونه من مخزون لغوي وشعري .. فلماذا لا نجد في أنفسنا ذلك الأثر

الجميل الذي يلح علينا ويصرخ بنا بين حين لآخر بالمعاودة والقراءة مرة أخرى؟

ما السر؟

اِقرأ واحفظ دواوين من الشعر وكتبا من البلاغة ومجامع من النحو والمعاجم.. فهل ستملك من خلالها ذلك السحر الوهاج؟

إن الموضوع لأبعد من ذلك .. على ما للمعرفة من أهمية إلا إنها تظل وسائل لا تبلغ من النفوس الغاية المنشودة والأثر العميق الذي يشكل وعي الإنسان ولا وعيه .. إلا روحًا نظيفة اصطفاها الله للإنسانية المعذبة كما يصطفي الله أنبياءه الخلّص فيوحي إليهم ويجعلهم منارات فضيلة. وحي رسالة إلهية تختص بالأنبياء والرسل ووحي إلهام وإرشاد لأهل الأدب والفن.

إذن .. ليس الفن الغاية. وليس " الفن للفن " بالمذهب الصحيح .. بل السعي بالإنسان نحو الكمال هو الغاية.

"أحلام الناي" مجموعة مختارة للروائي والكاتب الألماني/ هرمان هيسه الذي ابتدأ حياته شاعرًا ثم تحول للفلسفة والرواية .. حاز على جائزة نوبل.

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيّم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايينَ من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَةِ والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.

هـذا العمـل الإبـداعي برعايـة داربسـمة للنشـر الإلكترونـي بشـــراكة مـــع جـــروب ملتقـــى الأقـــلام المُبدعـــة...

للاطلاع على الصفحة الرسمة لداربسمة للنشر الإلكتروني على الفيسبوك، اضغط على الأيقونة.

للاطلاع على جروب ملتقى الأقلام المبدعة على الفيســـبوك، اضـــغط علـــى الأيقونـــة.

المحتويات

الإهداء 6

كلمة في استقبال العام الدراسي الجديد 2022- 2023 9

يوميات معلم على الزوم 14

البحثُ عن مكانٍ مضاء..... 42

المعرفة والشغف 70

الوهجُ الخلاقُ 77

يوميات اللعب بالكواكب..... 83

حديث من وحي التكنلوجيا..... 86

الشاعر 99

الجُرهميُّ الأخير في بلاد العجم 102

مرايا الروح.....111
الأدب اليمني .. والسراب!!.....116
لكنَّها .. إرادة السُّلطان.....128
لكنها .. إرادة السلطان !.....129
النرجسية السوداء في عقولنا كلام وفي ألسنتنا رمال!!.....137
ما أمرّ اللغةَ الآن!.....149
ظاهرة الانطماس القهري ..!!.....151
ظاهرة الانطماس القهري !.....152
يوميات الأربعاء.....154
الإمامة !.....154
التراث المعاصر.....158
على الضفاف.....160
الحق سلاحي وأقاوم.....163
أصوات حائرة !!.....169
لكلِّ عقلٍ موهبة.....172
على شواطئ الأمير. تأمَّلًا وحلمًا.....178
عندما تصبح الكلمة مسؤوليَّة.....185
عندما يُصبح الشِّعر قضيّة.....185

عزيزي الطالب .. !! 185
درس في التعبير 206
القراءةُ المِلهَمَة 214
القراءةُ روضة السَّعادة..... 218
عليك السلام ياهِرمان! 220

مهنة التدريس مهنة جميلة .. إنها العزف على أوتار الكلمة .. تماما كما يفعل الموسيقي العازف حيث يبدأ في التحضير النفسي .. يستجلب الصفاء الذهني أولا بكأس شاي .. ينتحي بعيدًا عن العيون .. يتخيل النغمة تسبح في فضاء من العطر .. يحلم .. يميل برأسه .. يذوب .. تمتلئ العاطفة ثم يبدأ الدّفق الشعوري .. فإذا الرغبة الجامحة حد الاختناق تدفعه دفعًا إلى آلته الموسيقية .. ثم يمر بتلك المراحل الإبداعية الثلاث: الترجمة والنقض والبناء. ترجمة ما استقبل من الكون من إشارات ورموز صوتية .. ونقض السائد / الواقع القبيح .. وبناء عالم جديد من الجمال.

طارق السكري

Bassmabook
00212771814934